



سباق مع القطار

سيرة الشهيد الشيخ محمد أحمد رملاوي

إيمان علوية

سباق مع القطار

سيرة الشهيد الشيخ محمد أحمد رملاوي



سَبَاق مَعَ الْقَطَارِ

تأليف

إيمان علوية

الناشر دار المعارف الإسلامية الثقافية

تصميم رسالات

إصدار  جمعية إحياء التراث للقاوم

طباعة DB UH
Info@dbuh.com

طبعة ثانية 2022 م - 1443 هـ

جميع الحقوق محفوظة

ISBN: 978-614-467-287-7

لبنان - بيروت - المعمورة - الشارع العام
00961 01 467 547 | 00961 76 960 347
books@almaaref.org.lb

لبنان- بيروت- حي ماضي | مجمع الإمام الكاظمؑ ط5

هاتف: +96178927930 | +96170646020

تلفاكس: +961147706 ص.ب: 5081/25 بيروت

بِسْمِ اللَّهِ
الرحمن
الرحيم

The image features the Basmala (Bismillah) in white Arabic calligraphy on a blue background. The text is arranged vertically, with 'بِسْمِ اللَّهِ' at the top, 'الرحمن' in the middle, and 'الرحيم' at the bottom. The calligraphy is highly stylized, with a large, flowing 'Alif' (the first letter of 'Bismillah') that curves around the text and extends downwards. The overall composition is centered and balanced.

الفهرس

6	شكر وتقدير
9	مقدمة السيد هاشم صفي الدين "صديق الشهيد"
13	مقدمة الكاتب
17	المحطة الأولى
33	المحطة الثانية
49	المحطة الثالثة
65	المحطة الرابعة
83	المحطة الخامسة
101	المحطة السادسة
119	المحطة السابعة
133	المحطة الثامنة
155	ملحق

إهداء

إلى الذي عرّفْتُ معه كيف يكون الأُنْسُ في الغربة.
إلى اليد التي أُمسكْتُ بقلمِي عندما كان على شفا
جرفٍ هارٍ، فأحْيَت نبض الحرف.

إليك «رملاوي»...

وقبلك، إلى السيدة فاطمة المعصومة.

شكر وتقدير

قطرتان يحبهما الله، وثالثة على سبيل نجاة؛ قطرة دمعٍ في سواد الليل تقرُّبًا إلى الله، وقطرة دمٍ في سبيله...

والثالثة، قطرة حبرٍ عن الشيخ محمد رملاوي، صاحب القطرتين، يسبقها كلمة شكرٍ أتقدم بها إلى اثنين وخمسين ذاكرة؛ من أهلٍ، أقارب، أصدقاء في لبنان وإيران، حيكت بفضلها هذه الرواية.

إلى أسرتي وأصدقائي ممّن قدّموا لي الدعم المعنوي...

إلى جمعية أحياء؛ إدارتها التي واكبتني ومنحتني الثقة، فريقها الذي ساهم بالجمع والتفريغ والتدقيق...

إلى ملف أدب المقاومة الذي أشرف وقيّم...

إلى فريق الإخراج الفنّي الذي وضع لمساته الإبداعية...

إلى مؤسسة الأنشطة الإعلامية، التي ظلّت العمل بالمتابعة الحثيثة... كلّ الشكر.

عسى أن تكون هذه الرواية حافزًا ودعوة للمهتمين لما يمكن أن يقدّموا من روايات شفويّة وكتبيّة وصور وخواطر حول الشهداء، الجرحى، المجتمع المقاوم... بما يثري جمعية أحياء وملف الأدب المقاوم وذاكرة المقاومة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لقد عرفت اخي الحبيب الشهيد الشيخ محمد رولدوي انساناً
مؤمناً مجاهداً عالماً تخلصاً عاشقاً للجهاد مجاهداً لله
تبارك وتعالى وقد اعطاه الله عز وجل هذه العاقبة الحسنة .

نصر الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة السيد هاشم صفي الدين "صديق الشهيد"

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق
أبي القاسم محمد وعلى آل بيته الطاهرين.

لقد سافر الشهيد محمد رملوي (رحمه الله) إلى
الجمهورية الإسلامية الإيرانية بعد انتصار الثورة، ليلتحق
بجامعة طهران طالبًا للعلوم الأكاديمية، عساه يصبح طبيبًا
ويحقق آماله في العودة إلى بلده لبنان، ليكون في خدمة أهله
ومجتمعه والفقراء الذين أحببهم وعرف عن قرب معاناتهم.
لكنّ مدة مكوثه في طهران فتحت له بابين، الأول: تعلم اللغة
الفارسية التي أدخلته إلى المجتمع الإيراني ليفهمه عن قرب،
وهو الذي حقق إنجازًا تاريخيًا لإيران ولكل العالم الإسلامي،
والثاني، وهو الأهم: التعرّف على فكر الإمام الخميني (رضوان
الله عليه)، إذ تبخّر في شخصيته الملهمة التي جذبتة وملأت
عقله وقلبه اعتقادًا ومحبةً، ووصولًا إلى العشق، فبدأت مرحلة
جديدة في حياته. ولأنّ الشهيد الشيخ محمد (رحمه الله)،

كما هو معروف عنه، يؤمن جدًّا بالعمل والمبادرة، انسجامًا مع صدقه ومشاعره، فقد أدرك أنّ سرَّ العظمة في شخصية الإمام هو الحوزة وأصالتها، وهي مكنن الحاجة للأمة، مما حدا به إلى أن يشدَّ الرحال إلى قم المقدّسة طالبًا للعلوم الدينية، وهو التغيير الكبير في مساراته وخياراته، وكان قراره مفاجئًا لكثيرين.

عندما التحق بالحوزة العلمية كان مثلاً للجدِّ والمثابرة والتعلّق بالغاية المنشودة، فاكتسى حلّة التواضع والتعلّم والمسؤولية، وسرعان ما اهتدى إلى منبع الاستقامة والتوفيق في الانجذاب إلى علوم الأخلاق، التي أخذت حيزًا مهمًّا في اهتماماته وأولوياته، ولأنه صادقٌ قرّن المعرفة بالعمل، فاتجه صوب المسلك الذي يوصله إلى المقصد مباشرةً، مستعينًا بطهارة ونقاوة نفسه، فألى جانب التحصيل العلمي طرق باب خدمة الخلق، فكان البلسم والعون لكلّ من يحتاج إلى معين، من دون فرقٍ بين أساتذته أو زملائه أو حتى طلابه.

لقد نقله هذا السبيل إلى الجبهة التي وجد فيها ملاذته وعشقه، حيث يكون إلى الله تعالى أقرب، فالجبهة بنظره تصهر العلم والأخلاق وخدمة الخلق في الإيثار والتضحية والانفلات من عوالم الهوى، لتجد النفس طريقها سهلًا إلى

معشوقها. أكمل بقية عمره القصير بين الحوزة والجبهة وهو يعرف تمامًا ماذا يريد، كما كنا نعرف جيدًا ماذا يطلب.

لا أنسى لحظات الوداع الأخير حين أوصلته إلى محطة القطار، وكنا قد تأخرنا عن موعد الرحلة إلى الأهواز نحو نصف ساعة، فبينما كنت منشغلًا بركن السيارة، نزل منها مستعجلًا ليتأكد من أنّ القطار انطلق أو لا، وبعد دقائق لحقت به، فإذا البسمة تعلو محيّاہ النوراني وهو يقول: «سبحان الله، لقد تأخّرت الرحلة، وها أنا على وشك الصعود إلى القطار». ثم قال: «ألم أقل لك؟!»، نعم، لقد قال ولم يخب أمه، وكأنّ القطار ومن فيه توقّفوا ليقفوا معهم عريبًا إلى معراج الجنة والشهادة واللقاء.

ولا أنسى أبدًا حين عانقته مودّعًا؛ كنت على يقينٍ بأنني أعانق شهيدًا. ثم غادر، وكان له ما أراد، شهادةً في ليلة القدر، في ليلة شهادة سيد المتّقين أمير المؤمنين (ع)، وكأنه يردّد مقالته (ع): «ألا وإنّ لكلّ مأمومٍ إمامًا يقتدي به ويستضيء بنور علمه...»، فاقنتي بإمامه، ولحق به شهيدًا في ليلة شهادته. هذا هو نتاج الصدق.

هنيئًا للأخ العزيز والصدیق الوفي هذه الشهادة المستحقّة التي سعى لها سعيها، وأعاناه على نيلها ذلك القدر الجميل،

منذ أن سافر إلى جامعة طهران فطوى المراحل معرّجاً بعد آخر، بالتوفيق وحسن الاختيار، وكان زاده طوال المسير اليقين والصدق. ما بين أيدينا هو ملخّص عن حياته، أنجزته «جمعية إحياء التراث المقاوم» في وحدة الأنشطة الإعلامية، ودوّنته، بعد تجميعه بجدّ ونشاط، الأخت الكاتبة إيمان علوية، فالشكر لها ولكلّ من أسهم في إتمام هذا العمل، ليكون صدقةً جاريةً في كتاب أعماله، وليبقى مضمونه العبرة والمثل لكلّ من طلب الوصول إلى لقاء الله تعالى باليقين والصدق والعمل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هاشم صفي الدين

6 شعبان 1443 هـ - 9 آذار 2022 م

مقدّمة الكاتب

مما روته لي الصّحراء أنّ رملاويًا أخذه عطش شديدٌ قرب
ضفة نهر، فجاءها قاصدًا ليرتوي.

ومما روته لي الصّحراء، أنّ سكةً قطارٍ بينها وبين النهر،
جرت عليها فصول حكاية «رملاوي»، ودار سباقٌ بينه وبين القطار،
امتدّ على طول زمانه ومكانه، أفصح النهر عن بدايته، فيما خبّأت
الصحراء نهايته صواعًا في رحلها.

همستُ الصحراء في أذني، وأصخْتُ السمع؛ ثمة ما حمله
«رملاوي» معه عندما وفد إليها، جعل من جمرٍ ولهيبٍ أصاب
جوفها بردًا وسلامًا. وهو ما بحث قلمي عنه، وقبله كان قد رفض
كتابة الرواية.

نعم، قبل حديث الصحراء، تمرّد قلمي، ورفض الكتابة
غير مرة! فهو، لم يكن على استعدادٍ أن ينحت روحه ويجري على
السطور، من أجل أن يمنحني في النهاية بطلاً يشبه الذين سبقوه،
أنا التي ناديت بعدم استهلاك وقت القارئ بما هو مكرّر غير جديد.
مع فارقٍ هذه المرة، أنّ النواقص والثقوب التي وجدتها في أهم
مراحل حياته المغمورة، سوف تجعل القلم، بنظر القارئ، في خانة
المدان الأول، والقارئ ليس بُمّلام!

ولأنني لم أشأ كَسُرَ عناده، ولكي أوفّر عليه حربًا مأكرةً، وهو يشقّ طريقه من أفكارِي الوعرة إلى الورقة، فقد عزمْتُ، في الوقت الذي شرعْتُ فيه بالكتابة، على رمي صنّارة بحثي في قعر ذاكرة النهر، حيث ما أسعفته صرّةٌ في يمينه، ولا كتابٌ في يساره، على أن يغترف من الطفولة سوى رجولة، وأمنية تركها عند سكة القطار. ثم استوقفني فصل الحبيبة، فاستمهلْتُ عنده، أنا التي أفصّل نكهة الحبّ والنبض في الحرف أكثر من أيّ شيءٍ آخر، لكنّ قلّمي سبقني، واشتعل حبره أمام حبيبةٍ عرف رملادي معها الدّفء في البرد، والأنس في الغربة، واستطاعت أن تفجّر ما اختزن خلف صوته الخجول من أشعار وأسرار.

أما فصل الصحراء، وهو الأهم، فقد ظلّ قاحلاً، لم يزدني البحث فيه إلا سرابًا. عُدْ يا قلم إلى عنادك!

رملادي، في سباقه مع القطار، صار على مشارف الصحراء، وأنا في سباقٍ مع الوقت لأستخرج الصواع من رحلها، وموعد تسليم الرواية اقترب، ولا من جديد!

لا أحد يدرك حجم الصراع الذي يعيشه الكاتب ليعود إلى زمان ومكان بطل الرواية، ويعيد إنتاج الحادثة كما حصلت، أو على الأقل، يقترب منها قدر ما يمكن. لكن، من أين لي، أنا، ابنة المدينة، طريقًا إلى صحراء بعيدة؟!

كان هذا السؤال هو مفتاح الجواب، وإن متأخراً.

ثمة من شهد سباق القطار، وفي ذاكرته اسمٌ مستعارٌ لأحد رفاق الصحراء، سيكون هذا الاسم أول الخيط، وستكون مدينة «الحبيبة» صلة الوصل بيني وبين الصحراء. هكذا قلت في نفسي، أو على الأقل، لأجرب محاولتي الأخيرة!

لجأتُ إلى من كان سمع شعراً ألقاه رملادي في ديارها، واستجديته رحلة بحثٍ طارئة عاجلة. لكن، في الوقت الذي انتظرت الرد، وأنا أتوقع كل يوم أن يُفتح هذا الباب، حان موعد تسليم الرواية، وهنا حديثٌ آخر! فبينما كنت أسلمها، بلغني، في اتصالٍ طارئٍ؛ أن قد وُجد رفيق الصحراء هذا، وفي ذاكرته بقية الرفاق، وما خبأته عني الصحراء، والصّواع الذي كان معلّقاً في الهواء!





سباق مع القطار

المحطة الأولى

من | إلى
عميتيت | برج حدود

الوصول -----

الساعة -----

١٩٧٥-١٩٦٠

سباق مع القطار | من | إلى
المحطة الأولى | عميتيت | برج حدود

الوصول ----- الساعة -----

١٩٧٥-١٩٦٠



- مات الرَّجل.
 - مات أمام المدخل.
 - سبح المسكين بدمه، وسبحت ربطة الخبز!
 - يا لأولاده! ذاقوا طعم الحسرة.
 - ومن سيجرؤُ على سحبه إليهم قبل المساء؟! هذا القنّاص جعله الآن طُعماً!
 - الملعون! شلّ الحياة في الشارع... شلّت يده.
- على فوضى الأحاديث المذعورة بين أمه وجارتَيْها أم محمود وأم زياد، أفاق محمد. وهو، على أيّ حال، لم يغمض له جفنٌ حتى الفجر. كانت ليلةً عنيفةً بالاشتباكات وأصوات القذائف، قضاها إلى جانب أمه وإخوته والجيران في فسحة مدخل المبنى، فيما فضّل والده أبو حسن أن ينام في ممشى البيت، على الرغم من الوساطات التي أرسلتها إليه أم حسن، من دون أن تبدّل موقفه: «المُسَلِّمُ أُلّه».
- لم تكن هذه الليلة هي الأولى التي يقضيها الجميع في المدخل، فقد مضى تسعة أشهر على حادثة «بوسطة عين الرمانة» واشتعال الحرب الأهلية، وصار المدخل، ببابه الضيّق وسقفه المنخفض

وفسحته الواسعة، الملجأ الوحيد الذي يهرولون إليه كلما تجددت الاشتباكات واشتعل الرصاص، فالبيت الغرفة، ذو السقف التنك، الذي يسكنه جارهم سعيد طيبة يقع قبالته مباشرةً، ويشكّل متراًساً طبيعياً يقيهم الموت. بات نادراً وجود سعيد طيبة في البيت الغرفة، هذا الشاب النحيف، ذو البشرة السمراء، والقامة القصيرة والشعر الطويل الأملس، الذي كان يلتقي به محمد وشباب الحي يومياً ليستمعوا إلى طرائفه المضحكة، صار أحد رجال محاور القتال، يغيب مُدَّةً، ثم يطلُّ بسلاح كلشنكوف، وجعيةٍ فوق السترة، وينطال جينز جَرَّده غبار المعارك من لونه، يرافقه مجموعة من الفدائيين، ويساعدونه في توزيع أكياس الطحين على أهالي الحي، بعدما فُقدت في الأسواق، وصار البحث عنها يكلف ثمناً في الأرواح. الله وحده يعلم عدد الرئات التي خمدت أنفاسها في المعارك أمام سعيد «الفتحاوي»، حتى أصبح بهذه الجديّة والملامح الأقرب إلى الوجود.

تسلَّل محمد من بين الصَّخب، وتوجَّه نحو باب المدخل ليرى ما حجبهُ ضيقُه من بقية جسد الضحية، وما إن همَّ بإخراج رأسه حتى أمسكت يدٌ بقميصه من الخلف وجذبتَه بقوة: «عد إلى الداخل». نهزته أمه: «لا مراجل في الموت». واستغل فرصة أن أباه هرول على جلبه النسوة، وانشغل بتهدئة الصغار، وحمل صغيره علياً الذي كان يلوذ بفستان أمه، فتسلَّل ثانيةً، وصعد إلى البيت، ثم دخل الغرفة المواجهة للمبنى المقابل على بعد مئتي متر، حيث أشارت أمه إلى أنها تمكَّنت من تحديد مكان القنَّاص في إحدى نوافذ

الطابق الأخير؛ أراد أن يرقبه، وفي اللحظة التي أمسك فيها طرف ستارة النافذة وهمَّ بإزاحتها، جذبتة اليد نفسها: «أيها العنيد!»، نبرت غاضبة، «هيا انزل، فلتساعدني في ملء الأباريق لنزول الدم قبل أن يجمد».

مضى النهار باشتباكاتٍ بعيدةٍ متقطعة، ووقعت في الحيّ قذيفةً ارتجّت لدويّها المبني وماج بأهله، ثم تبعها ثانية وثالثة، فهرول الجميع إلى المدخل، بعد أن كانوا قد سعدوا إلى بيوتهم، وغصّت فسحة المدخل بصراخ الأطفال ودعاء النسوة. اقترب محمد من أخته أسهمان، أجلسها في حضنه، جعل أذنها لناحية صدره، وشدَّ على الأخرى براحة كفه. تجهل الصغيرة أنها تعاني من ثقبٍ في عضلة قلبها، وأنّه يدرأ عن سمعها ما استطاع من دويّ، وتعتقد أنها مدلّته بين إخوتها التسعة، واعتقادها هذا، كان كفيلاً بأن تشعر بالأمان وهي في حضنه.

هدأ القصف مساءً؛ خرج أبو حسن والرّجال، حملوا جثة الصباح، ومشوا ملاصقين للمباني، وإذ وصلوا إلى حي النبعة في الجوار، سلّموها إلى مقاتلين من «الحركة الوطنية»، كانوا يحرسون المنطقة تأهبًا لدخول محتملٍ من قبل قوى الأحزاب اليمينية.

في هذا الوقت، شرعت أم حسن بتوضيب ما يلزم من ثياب وأغراض لتغادر وعائلتها برج حمود، في أول فرصة يعود ابنها حسن من عمله، فقد مضى على بقائه عاليًا في قريطم عدة ليالٍ، ذلك أنّ غلّ الحرب كُبر كثيرًا خلال الشهرين الماضيين، وبيروت أصبحت

بيروتين: الشرقية للمسيحيين، والغربية للمسلمين وحلفائهم، وصار المحظوظ من مرّ على الحاجز ووصل إلى أهله سالمًا، فهو يحمل خصائص جماعته، وقتله يعني قتلهم جميعًا، بدأ هذا عندما أقسم جوزيف سعادة في مشرحة المستشفى أمام جثة ابنه رولان، وقد قُبل وثلاثة من رفاقه في فرقة النخبة الكاثائية (ب.ج.)، التي يقودها بشير الجميل وتختصر اسمه، أقسم أنه سيقتل خمسين مسلمًا مقابل كلّ قتيلاً كاثائياً، فحصل السبت الأسود، واستشهد مئات المسلمين في مرفأ بيروت بذنب هويتهم، وزيدَ على قاعدة الخمسين، فراح مثلهم ألف في مجزرة الكرنتينا، وبدأ كثُر يغادرون منطقة برج حمود نحو شطرحم الغربي، بعد أن سقطت بلدة الدامور المسيحية في مقابل الكرنتينا. أما مخيم تل الزعتر، الذي أُنخنته مئات القذائف ليل نهار، فلا يُعلم مصير الحصار عليه، وإن كان يرجح لكفة السقوط على حساب الصمود، وكانت له الحصّة الأكبر من نشرات الأخبار وملحقاتها العاجلة.

أفاق محمد صباحًا على جدالٍ بين أمه وأبيه، أبو حسن يريد أن يذهب إلى سوق النبعة ليشتري الخضار ويبيعها، وأم حسن تصدّه، هو يطمئنها أنّ القصف هدأ، وأنّ في الشارع حركة مازّة، وأنه سيفرش «بسطنة» بمحاذاة الساتر الترابي، وأنّ وأنّ... وهي تُذكّره بمن اصطادهم القناص على حين أمانةٍ من القصف، وأنّ دم الأمس لم يجفّ بعد. واحتكمت إلى محمد تطلب مساندته، إلا أنه وقف بصفّ أبيه، لا لأنه «حبيب ييو» كما يُنادى في البيت، بل لأنه

كان يده، يساعده في تأمين قوت اليوم، وهو يدرك تمامًا حجم العبء الجاثم على صدر أبٍ جَوَّعت الحرب عشرة أولادٍ في عنقه.

قبل أن تكتمَّ الحرب كل صوت، كان محمد، خلال الصيف وفي أيام العطل المدرسية، بائعًا جَوَّالًا، ينادي على بضاعةٍ يحملها في صرةٍ قماشيةٍ على كتفه، ويجوب بها الأحياء. يبدأ عمله منذ الصباح، وبعد أن ينقضي النهار، يعود إلى أمه بما حصل عليه من مال.

ومحمد، وعلى الرغم من أنه لم يكن شغوفًا بهذه المهنة، فقد كان بائعًا صبورًا. لا يملّ من التجوال طيلة النهار، تحت عين الشمس الحمئة صيفًا، أو تحت المطر شتاءً. لكنه في المقابل، كان خجول الصوت، لا يسعفه نداؤه كثيرًا في البيع، ويكاد يختفي بين أصوات الباعة في الأسواق وفي زحمة الضجيج. على العكس من شقيقه حسن، رفيق التجوال، كان أكبر منه سنًا وأكثر جرأة، ينبّه دائمًا، قبل أن يتقاسم الأحياء، إلى أنّ هذه المهنة تحتاج إلى صوتٍ عالٍ، وينادي أمامه بكل جرأة، فيفعل محمد مثله، وينادي بصوتٍ مرتفع: « قمصان، جوارب، قمصان للبيع...»، ويمضي كل إلى شارع، لكن صوت محمد، سرعان ما يخفت شيئًا فشيئًا، فلا يصل مداه إلا لمسافة قريبة، أو يتوقّف عن النداء، فينتظر اقتراب المارة منه لينادي على بضاعته، فإذا ما التقى بشقيقه مجددًا عند أحد المفاقر، تذكّر كلامه وعاد ينادي بصوتٍ مرتفعٍ.

ولم يكن بيّع محمد يقتصر على النداء، بل كان يلجأ إلى المباني، فيصعد الطوابق، يطرق الأبواب، ويعرض ما في الصرّة، فمن الناس من يشتري، وهذا الصنف قليل، ومنهم من يشكره بأدب، أو يغلق الباب بوجهه قبل أن ينهي كلامه. وعلى كلِّ حالٍ، فقد اعتاد الأمر، وصار له في مقابل قاعدة أبيه «يوم لك ويوم عليك»، قاعدة جديدة تتوافق معها في نصفها الأول، فيما تزيد على نصفها الثاني أضعافًا.

ولم يكن بيع الثياب أول ضروب تجارته، فهو بدأ بائع علكة وسجائر في عمر التاسعة. يومها غادر والده بلدته عيتيت، وقدم للسكن في أحد أحياء سن الفيل، لفرصة عمل أتيحت له في نجارة الباطون، عبر أحد أبناء بلدته ممن سبقوه إلى السكن والعمل هناك. لعامين خلال الصيف، كان محمد يحمل علبة العلكة والسجائر ويتوجّه نحو الطريق العام، هناك كان يجتمع العدد الأكبر من الناس بانتظار البوسطة وهي في طريقها إلى البلد (بيروت)، يجول بينهم وينادي بصوتٍ طفوليٍّ خجول: «علكة، علكة، دخان»، «عمو بندّخن؟»، ثم تصل البوسطة فيصعد مع الرّكاب من بابها الأمامي، يتكرّر نداؤه بين المقاعد: «علكة، علكة، دخان...»، ويضيق تجواله ويحشر نفسه بين الرّكاب الذين لم يجدوا لهم مقعدًا فوقفوا في الممر، وعندما تنتهي جولته وينزل من الباب الخلفي، يجد أن السائق قد قطع مسافةً طويلةً، فيعود غير آبهٍ بالشمس تجهره، يعدُّ غلّة النهار، ويتسم لقطع نقودٍ كسبها «إكرامية» من بعض الزبائن ميسوري الحال، فيها سيتناول «سندويش» فلافل مع

«كازوزة» في فَيء شجرة على جانب الطريق. كثيرًا ما صادف في أيام بيعه صبيّةً في مثل عمره استهواهم اللعب والطيش، وكانوا يسألون عن ثمن العلكة، ليس رغبة في الشراء، بل وسيلة للاقتراب منه، فيضربون أسفل العلبة إلى أعلى، وعندما تقع من يده، ينحنون من فرط الضحك ويولّون هارين، فيما ينحني هو ليللمم رزقه. ثم يعود في آخر النهار إلى البيت فيسلّم المحصول إلى أمه، وكذا يفعل شقيقه الأكبر حسن.

في الصيف الثالث، أصبح محمد بائع ثيابٍ جوّال، فقد تعلّمت أخته الكبرى مريم فنون الحياكة على يد جارةٍ أرمنية، واقتрحت على أبيها أن يستأجر محلًا لبيع الثياب بالقرب من البيت ففعل، وصارت الفساتين القطنية والسراويل تخرج من إبرة مريم، فيما ظلّت ماكينة الحبكة حلماً مؤجلاً، إذ لا مكان لها في المحل ولا مال. داخل المحل، كانت مريم كل يوم توضّب البضاعة، وتضعها في الصرّة وهي تعيد على سمع محمد ثمن القميص، ويكمل عنها ثمن الفستان والسروال والجوارب، فقد حفظ الدرس عن ظهر قلب.

وحدث ذات هجير، أنّ محمدًا، قضى ساعاتٍ وساعاتٍ ينادي في الأحياء، من دون أن يدخل جيبه قرشٌ واحدٌ، وبينما هو بهمُّ بالمغادرة إلى البيت، أُلقيت على سمعه كلمات أعادت حماسه وبددت تعبه: «أعرف من يشتري كلّ بضاعتك»، قال فتىّ في عمره، وأشار إلى منطقة الأشرافية: «هناك زبون خواجه إن شئت أدلك عليه». اشتعل حماس محمد مجددًا، لكنّ الحيرة أخذته وجعلته يقف على مفترق بين الرفض والقبول، فالعرض مغرٍ، فيما الحدود

المرسومة لتجواله لا تتعدى منطقة سكنه، ولم تطل حيرته حتى قرّر مرافقة الفتى، على أن تشفع له النقود التي ستملاً جيبه تجاوزّه هذا.

ولأنّ السير على طول الخط العام يحتاج إلى أكثر من ساعة، فقد اقترح محمد على صاحب نبا «الغلة» طريقاً مختصرةً توقّر ثلاثة أرباع الوقت، ألا وهي: عبور نهر بيروت، الذي يفصل بين الأشرفية وسن الفيل؛ الأمر ليس بخطر، فمنسوبه يخفّ صيفاً، وتشكّل صخوره جسر عبورٍ إلى الضفة الأخرى. بدأ محمد يتنقل على الصخور وهو يحتضن الصّرة، ويحرص، في كل مرة يقفز فيها فوق الحجارة القليقة، على ألا تقع الصّرة وتبتلّ البضاعة، ولم يمض وقتٌ حتى أصبحت عند الضفة الرموقة.

في أحياء الأشرفية، كان محمد يسير ببطء وهو يمعن في معالمها ليحفظ طريق العودة، فيما كان الفتى يمشي بخفة ورشاقة، حتى إذا ما وصلا إلى أحد الشوارع توقّف الفتى أمام مبنى هناك، وأشار إلى بيت الخواجة في الطابق الأرضي، وقد طلب إلى محمد أن يناوله الصّرة وينتظر لدقائق ريثما يعود إليه بالمال، ففعل. ولج الفتى المدخل وانحرف عند زاوية الممر، وكان آخره غير مرئي، فيما وقف محمد يتأمل المارة وأولاد الحي. مرّت الدقائق الخمس بحماس، مرّت العشر بترقب، العشرون والثلاثون بريبةٍ وقلق، ولما لم يعد يحتمل الانتظار دقيقة واحدة أكثر، قرّر أن يطرق باب الزبون بنفسه، وعند نهاية الممر، فوجيء بأن للمبنى مدخلاً آخر يؤدّي إلى حيّ سكنيّ ثانٍ. لا أثر للبضاعة!

تقدّم في الشارع قليلاً، أخذ يرقب المداخل والمآزة، وجوه
تختلف عن ذلك الذي يبحث عنه. عاد إلى المدخل، ثم تقدّم في
الشارع مرة أخرى، لكنه لا يريد أن يبرح المدخل، فعاد إليه، انتظر
وانتظر. دارت عقارب الساعة لأكثر من جولة كاملة، من دون
أن يلمح للفتى طرفاً، فعاد خائباً، خائفاً، فارغ القلب، لا مهرب
من عقابٍ هو ملاقيه. في طريق عودته، شاهد أحد رجال الدرك،
فاستنجد به وطلب إليه أن يساعده، لكنّ الجواب الذي لقيه حسم
له ما عليه فعله: «روح عاليبت عمّو، روح وانس الصرة».

عَبَر ماء النهر من دون أن يلتفت إلى صخوره، وسريعاً وجد
نفسه في الشارع المؤدّي إلى محلّ الثياب، رأى أخته بباب المحل
تتلوّت في كلّ اتجاه وتفرك يديها بعضها ببعض، ولما وقع نظرها
عليه هرولت نحوه تسأله عن سبب تأخّره، وأخذت تتفحص جسده
إن كان قد تعرّض للضرب، فراح يخبرها بما جرى معه، بكلمات
متقطّعة وهو يلتقط أنفاسه ويجهش، فمسحت دموعه ووعده
بأنها ستستعيد البضاعة إن دلّها على مكان الفتى.

وكان البحث مرة أخرى كالبحث عن إبرة في كومة قشّ، عاد
محمد بعدها يمشي ببطء خائر القوى، فسقته عصير الليموناضة،
بعد أن انتهت إلى وجهه الذي صار شديد الحمرة، ثم أوصلته إلى
البيت، على أن تتكفّل أمر إخبار أبيها.

مع الغروب، دخل أبو حسن إلى البيت يبحث عن محمد، تفقّد جسده، عاتبه: «ما كان ينبغي أن تعود للبحث عن الفتى، المهم أنك بخير».

ثمة صوتٌ كان محمد لأجله يسترق من ساعات الكدّ لحظات لطفولته. هناك، عند سكة القطار، بالقرب من مفرق البيت، يتأهب ليسابق قطار الشحن عندما يسمع صفيره من بعيد، يتناسى صوت أمه، وقد حذرتَه من القطار مرارًا، وحكت له عن الطفلة التي علقت رجلها بين قضبان السكة وهي تلهو، ولم يستطع السائق إيقاف القطار، فسحقها وظلَّ شعرها عالقًا في السكة. يعلو الصغير، فيحتشد الأولاد، يطلُّ وجه القطار، فيقفزون ويصفقون ويصفرون. يقترب القطار، فيتأبط محمد الصرّة. يصل القطار، فيبدأ السباق؛ يسرع محمد، وعجلات القطار تسرع وتقذف بالحصوات على طرفي السكة. تفوز المقصورة الأولى، يسرع أكثر، تسبقه الثانية، يركض بأقصى سرعته، تمضي الثالثة، وتلحق بها الرابعة والخامسة، فيبطئ في الركض، ثم يتوقّف ليلتقط أنفاسه، ويحمل حجارةً ويلقي بها على المقصورات الأخيرة، وهو يتوعدّ القطار بالفوز عليه في الغد. وفي الغد، وفي كل يوم، يفوز القطار ويمضي، غير أبه بما يلقاه من حجارة محمد والأولاد الذين هُزموا أمامه.

وكان من أحلام طفولته أن يسافر في القطار، فيحاول أن يحدّق حلمه عندما تكون النزهة مع أهله بالقرب من محطة القطار، فيدخل إلى المقصورات المتوقّفة، ويجول فيها وهو يتناول «الحميضة» التي قطفها مع أخته سكرة.

وسكنة، شهدت أول تجارة لمحمد عند سكة القطار من دون رأسمال. يومها، ناداها، أن تعالِي يا سكنة لتري كيف يصبح الفرنك ربع ليرة، اقتربا من السكة، ووضع الفرنك على طرفها، وانتظر أن تدهسه عجلات القطار، ليتسع ويصبح بحجم ربع الليرة، فيصبح مصروفه مضاعفاً ويشتري الحلوى والساكر لكليهما. أتى القطار وأدى واجبه كاملاً وغادر، أسرع محمد إلى عمله الجديدة فوجدها قد اندثرت.

يللمم الصيف أواخر أيامه، فيصبح محمد بائع كتبٍ مدرسية مستعملة. هناك، في سوق العازارية في بيروت، تجده بين الباعة الكبار إلى جانب أخيه حسن، وقد افترشا بسطةً صغيرةً على الرصيف، ينادي وأصوات الباعة تبتلع صوته، فيما يرتفع صوت حسن الأكثر جرأة. والريح الأكثر في هذه التجارة للباعة الذين حجزوا مكاناً في أول الرصيف، لكنها ليست قاعدة ثابتة، ففجأةً تداهم دورية الدرك المكان، ويصبح هؤلاء في قبضتهم أولاً، وتكون فرصة النجاة لمن لم يصل الدور إليهم بعد، ويهرول محمد بما أسعفه الوقت على حمله من كتب، كغيره ممن فزوا في كل اتجاه، ويذهب إلى بركة العنتبلي في سوق أياس المجاور، حيث استراحة الباعة والمارة الذين يقصدون الأسواق المجاورة، كسوق سرسق وخان البيض، وسوق الصاغة والافرنج. عند بركة العنتبلي، كان يحلو له أن يشتري من بين أنواع المرطبات والحلوى الشعبية ما يبّرّد به جوفه، فيختار عصير الجلاب مرّة، والتمر الهندي مرّة أخرى.

ثمَّ أنزل محمد الصرّة عن كتفه بعد أعوامٍ ثلاثة، وصار يجوب أحياء برج حمود، منطقة السكن الجديدة، وينادي على بضاعة يجزّها على عربيّة خشبيّة برفقة أخيه حسن، يتوجّهان إلى السوق الشعبية، فتستقرُّ العربيّة عند زاويةٍ على اليمين في أول الشارع. هناك، تتشابك أصوات الباعة وتتضارب، هذا ينادي ربّات المنازل لشراء خضرواته الطازجة، وصوته الجمهوري يطغى على صوت بائع الأدوات المنزلية وبائع النّعال، وتصمت البدويّة الجالسة على الرصيف، وأمامها شوال من الصعتر البلدي، ويديع بائع العرائيس المسلوقة في لحنه وهو يفتح ملقط العرائيس ويغلقه، فيما يضيع صوت محمد وهو ينادي على القمصان والسرراويل، فيتولّى حسن الأمر ويزاحم الباعة بنفسه، ولكن، لم يمضِ وقتٌ طويل حتى وجد محمد نفسه مضطّرّاً إلى أن ينادي وحده، بعد أن وجد حسن وظيفةً له في منطقة قريطم.

وعاد محمد ذات يومٍ من تجواله باكراً، لموعِدٍ مع مباراة كرة قدم، فوجد أمه تُفرغ طعام الغداء في وعاءٍ كبيرٍ، لفتى قالت إنّ اسمه سعيد؛ ويلاً لِحظّه ما أتعسه! مات أبوه في حادث سيرٍ منذ شهرين، ودخل أخوه في غيبوبة، فصار الصبي رجل البيت، يشتغل في معمل تريكو ليعيل إخوته الصغار ويدفع ثمن إبرةٍ يحتاجها أخوه في المستشفى كل أسبوع. ومذ ذاك اليوم، صار سعيد توأم محمد، لا ترى أحدهما إلا والآخر إلى جانبه، اللهم إلا في مقعد الدراسة، الذي حرم منه سعيد، ثم ما لبث أن سافر بعد أقل من سنة ليعمل في ليبيا. ولم يكن ليخطر في بال محمد أنه سيتوقّف

عن الدراسة هو الآخر، وكذا توقفت عجلات العربة الخشبية، منذ أن استشهد الشيخ محمد محسن وولدها حيدر وخالد في مجزرة بوسطة عين الرمانة، وهم في طريق عودتهم إلى منزلهم في مخيم تل الزعتر، بعد أن ألقى الشيخ كلمة في ذكرى «عملية الخالصة» في مخيم صبرا. ما كان يخطر ببال أحد أن ذلك اليوم سيكون بدايةً لحرب أهلية، وها هي قد دخلت عامها الثاني، وصار سؤال الناس عن مصيرهم أكثر من السؤال عن كيس الطحين!

تعددت الحكايات في مصير كثير من المفقودين الذين مروا على الحاجز ولم يعودوا إلى ذويهم، وكانت أم حسن دائمًا مشغولة البال على ابنها، وهو يطمئنها بأنه لا يغادر عمله قبل أن يطمئن إلى حال الطرقات عبر فقرة «سالكة آمنة». قُتل الرجل أمام المدخل، فحسمت أمر مغادرتها وانتظرت مجيئه، لكنه أصرَّ على البقاء حتى لا يخسر وظيفته، فظلَّ أبو حسن معه. وفي اليوم الذي انطلقت فيه السيارة إلى عيتيت، فتح محمد حقيبته وأخرج دفتر مذكرات احتفظ به من العام الماضي، كان رفاق المدرسة قد كتبوا على أوراقه: مشاعر في الصداقة في نهاية العام الدراسي، اختتمت كل رسالة بأن: «اسلم لصديقك الذي يقدر الصداقة».

مرّت سيارة الأجرة بقرب العربة الخشبية، وسكة الحديد، ودّع محمد الأحياء والشوارع بنظرات من سيعود إليها عمًا قريب.



سباق مع القطار

المحطة الثانية

من | إلى
برج حمود | عيتيت

الوصول -----

الساعة -----

١٩٧٦-٠٠٠٠

سباق مع القطار | من | إلى
المحطة الثانية | برج حمود | عيتيت

الوصول ----- الساعة -----

١٩٧٦-٠٠٠٠

في عيتيت، مرّ الأسبوع الأول، وتكدّست فوقه أسابيع أخرى، ولا شيء سوى المذيع، وهو، عند محمد، «البارومتر» الذي يقيس من خلاله أوضاع الحرب في بيروت. وكلُّ الأخبار التي يتابعها ويعيد سردها على أم حسن تنبئها أن لا عودة في القريب إلى برج حمود. كان محمد بين الحين والآخر يفقد أمه، فيجدها، وقد انفردت بنفسها، بالقرب من غرفة المؤونة تحت البيت، فيسرع إلى ابن خاله، صديق الطفولة، ويدعوه إلى زيارته. حسن محسن هذا يحبُّ عمته كأمه تمامًا، وحكاياته وطرائفه التي يللمها من هنا وهناك تجبر أم حسن على الضحك أيّما كان حزنها، وهذا هو المطلوب، وإن كان يدرك أن هذا حلٌّ مؤقتٌ لا يلغي حنينًا يضحّ بصمت، حنينها إلى ابنتها الكبرى مريم، التي أجبرتها الحرب على أن تلحق بزوجها إلى ليبيا.

ثم فعلت الغربية فعلها أيضًا داخل الوطن، فباعدت بين أم حسن وبين زوجها وابنها، وأجبرتها على الانتظار في عيتيت، عيتيت، التي كلما حضرت إليها لا يفارقها ذلك الطيف داخل البيت وخارجه؛ تتذكّر صغيرها علي، شمعة البيت الأولى، انطفأت في عمر الخامسة. كانوا ينادونها أم علي، ثم صارت أم حسن بعد أن مات علي. كان علي قد أصيب بحمى شديدة، ومكثت أمه إلى

جانبه في أحد مستشفيات صور أسبوعًا كاملًا، من دون أن يتماثل للشفاء، حينها، حاول أبو حسن أن ينقذ روحه بأي ثمن، فنقله إلى مستشفى قلب يسوع في بيروت، وهناك، وفي آخر يوم له، أيقظته كثيرًا فلم يستجب، تحسّست نبضه بيدها ثم بأذنها، فظنّت أنّ سمعها ثقيل، صرخت إلى الممرضات فهرعن إليه ونادين الطبيب، ولم تنتظر كثيرًا حتى خرج إليها وأخبرها أنه فعل ما بوسعه، لكنها بإرادة الله، يومها عادت به إلى جبانة البلدة ونام ليلته هناك.

وأراد محمد أن يزهو بطفولته أمام حسن، سأل أمه عمّا تميزت به ولادته، فقالت: «وُلِدْتُ في السنة التي مات فيها علي». ابتسم حسن: «مصيبتان في سنة واحدة!»، ضحكت أم حسن: «لم أكن أريد أن أنجب المزيد من الأولاد بعد وفاة علي، فأنا منذ بداية زواجي عشت ظروفًا صعبة جدًّا؛ كنت أنتقل مع أبيك إلى أيّ مكان يجد فيه فرصةً للقمّة العيش، عديدة هي البيوت التي انتقلت إليها، منها بيت في منطقة البسطة في بيروت، حيث سكنت في غرفة ضمن بيت من سبع غرف، في كل غرفة منه تسكن عائلة، فيما المطبخ والحمام يشترك فيهما الجميع. وكان أبوك دائم السفر، يلحق رزقه إلى الخارج، فيما أتولى أنا التربية وأعباءها وحدي. لم تكن الحياة بهذه السهولة، كنت تجدني صيف شتاء أمام هذا البيت، أغسل الثياب بيديّ، وأجمع الحطب لأطبخ وأخبز، وأسير مسافة طويلة لأملأ الماء من العين. وعلي كان يمرض كثيرًا، فكنت أضطرّ إلى أن أسير في الوديان بين القرى ساعاتٍ طويلاً، لأختصر المسافة وأحضر

له الدواء أو الإبرة، كل ذلك جعلني أقرّر مخالفة إرادة أبيك، فهو كان يحب الأولاد كثيرًا، ربما لأنه بقي وحيد أبيه بعد أن مات له إخوة خمسة، ولم يبق سوى أخت واحدة، لكن، أنا لم يعد بمقدوري أن أحمل عبئًا إضافيًا، فشربت كثيرًا من الأعشاب المغلية التي وصفتها لي نسوة الضيعة لمنع الحمل، لكنني فوجئت بحملي السريع بك، وقد استأنت أول الأمر».

- اللهم لا اعتراض على خلقك. قاطع ابن الخال وضحك.

- استأنت ولكنها مشيئة الله. أكملت أم حسن.

- ألم تجدي شيئًا مميّزًا تتحدّثين عنه؟ قال محمد ضاحكًا.

- بلى، كانت ولادتك سهلة جدًّا، لم أشعر بتعب، وولدت مبرنسًا، جعل والدك من البرنس حجابًا علّقه في كتفه عندما جاء من السفر، وفي سنة ولادتك بُني هذا البيت وارتحت من التنقل الدائم.

- أرايت كيف أني وجه الخير؟ ردّ محمد على ابن خاله بطرف ابتسامة.

وجاء إبراهيم درويش يسأل عن حسن محسن، فدعاه محمد إلى كوب شاي، ومنهما بدأت دائرة أصدقاء محمد تتوسع، فهذا عدنان درويش لحق بابن عمه إبراهيم، كان عدنان يسكن في سن الفيل قبل أن تعيده الحرب إلى عيتيت، صحبه محمد مرتين أيام بيع العلكة والدخان، ولما لم يعجبه التجوال امتنع. ولم يمض وقتٌ طويلٌ حتى عاد سعيد عطوي من السفر، وما كان أشدَّ اشتياقه

لمحمد، فلم يعد يبارحه إلا قليلاً، وانضم إلى المجموعة علي مغنية، ثم حسن محسن، ولدفع التشابه بين الاسمين، صار يُنادى كلُّ حسن متبعًا باسم أبيه: حسن محمد وحسن عبدالله. أما إبراهيم يعليكي فقد جعل من بيت أخيه المسافر مقرًا للمجموعة، منذ أن انضم إليها.

ثم دخل شهر آذار يومه الحادي عشر. أوكلت أم حسن أعمال المنزل لابنتيها سكرة وفاطمة، وأخذت ابنتها أسمهان إلى الطبيب يرافقهما محمد، فقد لاحظت أن الصغيرة، ابنة السابعة، تشعر بالتعب أثناء اللعب، وبمجرد أن تبذل أيَّ جهد. ومع حلول المساء، وبينما كانت تغسل الصحون، عاد محمد من سهرته مع الرفاق وقال لها: «استعدّي للقاء زوجك وابنك في الأيام القليلة القادمة».

- وهل انتهت الحرب؟! التفتت مستغربة.

- بل اشتدّت، منذ قليل أذاعوا في الملحق الإخباري العاجل، أنّ العميد «عزيز الأحدب» أعلن انقلابًا أبيض، في بلاغ رقم واحد، طالب فيه رئيس الجمهورية بالاستقالة، تمهيدًا لانتخاب رئيس جديد خلال عشرة أيام، وأعلن دخول البلاد حال الطوارئ ومنع التجوّل في بيروت.

ولم يجانب الصواب قول محمد، فقد أقبل أبوه بعد أسبوع، ولكن وحده، وانهاالت عليه دفعة من الأسئلة لمعرفة أين حسن، فأوجز: «منذ أيام كنا في طريقنا إلى هنا، واعتقلنا عند حاجز للأحرار السريان قرب مبنى العدالة في المتحف، ثم نجونا بفضل من الله، يحدثكم حسن عما حصل عندما يأتي».



- ولمَ لمَ يحضر معك؟
- خاف أن يُعتقل مرة أخرى فيُقتل.
- ومتى سيأتي؟
- خلال اليومين القادمين سترافقه في السيارة امرأة لها أصدقاء مسيحيون، إلى أن يمرَّ على الحاجز.

نهبت ساعات الانتظار من أعصاب أم حسن، كلما سمعت بالباب طرَقًا أسرعَت لتكون أول من يستقبل حبيب قلبها، ثم لا تلبث أن تعود خائبة. إلى أن كان اليوم السابع، فبينما كانت تشغل نفسها بغسل الثياب، أقبل حسن يجرُّ حقيبةً أرهقت ساعده، على الرغم من خفتها، فاستقبله محمد بعناقٍ طويل، وأسرعَت سَكَنَة تبشّرُ أمها، فهولت تستقبله بدموع انفلتت منها، وشغلها الوجود الذي اكتسى وجهه فلم تسأله عما حصل معه، بل اكتفت بفرك خديهِ لتعيد لوجهه لونًا فرَّ منه، أما محمد فلم يمهل حسنًا وقتًا طويلًا حتى انفرد به وأنصت إليه:

كنت أنا وأبي ورجلان في السيارة. عندما أوقفونا على الحاجز وطلبوا منا الهويات شفح للسائق أن اسمه جورج، فأشاروا إليه بالمغادرة، فيما أنزلونا بعنفٍ واقتادونا إلى مركز قريب يبعد عن الحاجز نحو مئة متر. هناك، أدخلونا إلى غرفة كان يقف فيها ما يقارب خمسة عشر رجلًا من الذين اعتقلوهم قبلنا، وكنت أصغرهم سنًا، وبين وقتٍ وآخر، كنا نسمع صوت الرصاص في الخارج قد اشتعل، فندرك أن الاشتباكات احتدمت، ويدخل إلينا بالتناوب

مسلحون غاضبون، يهددوننا بالقتل والذبح، ثم يغادرون. بعد ساعتين تقريبًا، دخل أحدهم واقتاد ثلاثة رجال من الغرفة، بينهم أبي، التفت إليّ وهو يغادر فشُدّوه وأخذوه إلى حيث لا أعلم، بقيت واقفًا لساعات، والتهديد ينتهنا إلى الموت الذي سنلاقيه، إلى أن دخل أحدهم ونادى باسمي، فأجبته، سألني: «من أنت حتى يطالبوا بالإفراج عنك؟!»، حينها علمت أنّ والدي ما زال حيًّا، وأنه يسعى لإخراجي عبر جيراننا، وقد ذكر أحدهم أنهم يسعون لإطلاق سراحي مقابل مخطوف لهم، وهذا الشرط لم يكن يبشّر بالخير. ثم دخل شابّ مسلّح وصار يجول بنظراته في وجوهنا، فتوقّف أمامي وتأمّلي جيّدًا، ثم سأل: «هل تعرفني؟»، فقلت: لا.

- وهل تتابع دراستك؟

- نعم، في معهد بيبيلوس.

- اسمي مارون، أنا في المعهد نفسه، رأيتك أكثر من مرة، ماذا كنت تفعل في الطريق؟

- كنا نغادر المنطقة. ماذا أنتم فاعلون بنا؟

- ألكَ أصدقاء من المسيحيين؟

- أجل، زميلتي في المدرسة تدعى جوسلين البستاني، وشقيقتها ميرنا. هما تسكنان بالقرب من هذا المكان.

- هذا جيد، أعطني العنوان.

ونادى مارون أحد المسلحين وأرسله إلى بيت جوسلين، فعاد يرافقه شقيقها، وقال لي: «اطمئن، ستكون بخير». في هذا الوقت تناوب المسلحون على الشتم والتهديد كلما دخلوا الغرفة، هكذا طيلة النهار، وكلما سمعنا صوت الاشتباكات في الخارج دخلوا غاضبين يهدّدوننا بالذبح. عندما حلّ المغرب، دخلوا دفعة واحدة وبدأوا بإخراجنا من المركز، بحثّ بينهم عن الشاب الذي طمأنني فلم أجده، ظللت واقفاً، فشّدوني وأنزلوني إلى أمام المدخل. هناك، رأيته يقف إلى جانب مارون بالقرب من باصٍ غصّ بالرجال المعتقلين؛ يبدو أنه كان هناك أكثر من غرفة، قال له مارون وهم يشّدوني إلى الباص: «انتبه لحسن جيداً»، فصدّمت لقلبه وهمس: «كيف ذلك ونحن نأخذُه إلى الذبح؟!»، أعاد مارون قوله: «انتبه لحسن جيداً». في هذه اللحظة تبدّلت كل مشاعري ولم أعد أي شيئاً مما حولي، جلس الشاب قربي وقال: «لا تخف، سأكون إلى جانبك».

وصل الباص إلى منطقة السويديكو، وأنزلونا أمام مبنى قديم من طابقين يشبه القصر. كان بانتظارنا رجل ضخّم يرعد وهو يصرخ بالمخطوفين. كفّاه كبيرتان، يمسك بالمخطوف، ويشدّه إلى الداخل فيلوح بين يديه. صعدوا بنا إلى الطابق الثاني، وحشرونا في غرفة كبيرة، وأمروا الجميع بالركوع ففعلوا، أما أنا، فقد أشار إليّ المسلح، صديق مارون، أن أبقى بجانب الباب ففعلت. في هذا الوقت، دخل الرجل الضخم ومعه آخر، انتقى خمسة وقال للذي بجانبه: «هيا، فلندبح هؤلاء أولاً». اضطرب الجو وبدأ الصراخ، أخذ المخطوفون يفتون من بين أيديهم بكل ما أوتوا من قوة، والضخم

ورفاقه يشدّونهم ويسحبونهم خارج الغرفة! كان بين أولئك الخمسة رجل مسنّ من الأكراد، يبيع الخضار في منطقتنا، تلقى ضربة أولى على كتفه بكعب المسدس، ثم ثانيةً على الكتف الأخرى فوقع على الأرض.

في هذه اللحظة، شعرت أنني سأفقد الوعي أيضًا، ولم أعد أسمع سوى استغاثة المخطوفين وصراخ الضخم يهدّدهم بالذبح، تغلغل فيّ الرعب، نظرت إلى السلاح الذي وعدني خيرًا فإذا بوجهه تحوّل لونه إلى أصفر باهت، وسرعان ما غادر المكان. جاء الضخم إليّ ودفعني إلى الداخل، ثم عصبوا عينيّ فلم أعد أرى شيئًا من حولي، وكلما سمعت حركةً بالقرب مني، اشتدّ الرعب أكثر، وظننتها لحظة الذبح.

أمسك أحدهم بقميصي وجزني بسرعة البرق، كنت مستسلمًا منساقًا من دون مقاومة، أوقفني فجأةً ونزع العصابة، نظرت، فإذا به السلاح الذي كان بجانبني! قال: «اطمئن، سأخرجك من هنا». شعرت أنها لحظة ولادة جديدة بالنسبة إليّ، لكنني كنت أنظر إليه والخوف في عينيّ، فربّت على كتفي، وأكد لي أنه سيخلّصني مهما كلف الأمر.

كان لهذه الغرفة نافذه خشبية، ذات فتحات، يُسمع منها سبب ذلك الضخم من الغرفة المجاورة كلّ بضع دقائق، يتبعه شخير المذبوح والسكين تفري رقبته، هكذا، حتى حُرّت رقابٌ لا أعلم عددها. وكنت كلما سمعت صوت المذبوح أرتعد، فيهدّي السلاح من

روعي وهو يقف على باب الغرفة يرقب خارجها. فجأةً، وبسرعة، أمسكني وهروول على الدرج نزولاً بأقصى سرعته، لكننا صُدمنا بالرجل الضخم يمر، وبيده سكين ملطخةً بالدماء، ويجرُّ باليد الأخرى رجلاً ألبس ثوباً أبيض يشبه الكفن، تغطّي الدماء وجهه وثوبه لكثرة ما تعرّض للتعذيب، فتراجعنا على الفور، وانتظرنا وقتاً ليتأكد من مغادرتهم، ثم أسرعنا مجدداً وخرجنا من المبنى.

أمام المبنى، أوقفني بالقرب من دكان، واشترى لي عصيراً، وطلب مني أن أنتظر ليحضر لي جواز السفر.

لم يكن على الطريق سوى مسلحين على آلياتهم العسكرية، وأوصلوني على إحداها إلى بيت جوسلين، ثم ذهبنا إلى المركز الأول، حيث كان مارون لا يزال موجوداً، وفي هذه الأثناء وصل «إلياس»، أحد أصدقاء جارنا «أبو محمود بركات»، علاقته طيبة بأناس من الكتائب، وصل على الوقت ليصحبني معه في السيارة إلى شارع أراكس القريب من منطقة سكننا، وقد فوجئت بما قاله وهو يقود: «حسناً فعلت ولم تهرب عندما طلبوا منك الانتظار قرب الدكان، ولو فعلت هذا لقتلت!».

عندما وصلت إلى البيت عانقني أبي بصمت وبكاء، وحاكى لي كيف أخبر جيراننا بالحادثة وساعده، فعلى إثر هذا اتصل أبو محمود بإلياس، وأبو زياد بصهره كميل، علاقته جيدة برئيس الجمهورية السابق كميل شمعون.

- حمدًا لله. أَلف حمد وشكر. قال محمد، ثم صمت، ثم أتبع: «مساكين أولئك الذين لم يجدوا من ينقذهم!».
- وأتى ابن الخال وبقيّة رفاق محمد يهنّئون حسنًا بالسلامة ويستمعون إلى حادثة اختطافه، فاختصر محمد عذابًا مضاعفًا على أخيه وقال: «لولا جوسلين وميرنا لكان في عداد الموتى».
- ستموت من الملل هنا. قال عدنان وضحك الشباب.
- بل قرّرت السفر.
- ومن سيجول معي في القرى، ها إن أباك أوصى السائق بإحضار ماكينات الخياطة والبضاعة!
- يرافقك ابن الخال.
- أيامٌ قليلة مضت، وعاد صوت الدّرز في بيت أم حسن، تتناوب على ماكينتي الخياطة مع ابنتيها فاطمة وسكّنة، وعاد محمد لسيرته الأولى، يجوب القرى المجاورة لعيتيت كلّ يوم، وعلى كتفيه حقيبتان كبيرتان، ينادي على ما دُكَّ فيهما من سراويل وقمصان، وكان يتخذ من الأيام التي تُخصّص للأسواق الأسبوعية في القرى «بسطةً»، يفتريشها بين الباعة الكبار، يرافقه ابن خاله حسن، والأخير كان يستفزه صوت محمد الخجول، فيشجعه: «هيا يا محمد، ارفع صوتك! كيف ستباع بضاعتك بصوت كهذا؟!»، فيرفع محمد صوته ويبارز الباعة، وبعد عدة نداءات، ينكفئ الصوت الخجول، يضرب حسن كفا بكف، ويتحدّى الباعة بصوته الجهوري، فيستريح محمد ويطمئن إلى المبيع، فابن خاله كفاء في التحدي.

غالبًا ما يكون التحدي الأكبر في سوق مدينة صور. هناك، على طول الرصيف، تمتدُّ بسطات الباعة، ويكتظ المكان بالناس، بين باعةٍ تتضارب أصواتهم، وزبائن يساومون على بضاعة أفضل وثمانٍ أرخص، ويكثر الجدل هنا وهناك، هذا يحلف أنّ القطعة برأسمالها، وذاك يرفع ثمنها مضاعفًا، حيلةً منه ليخفض السعر عندما يجادله الزبون، ومحمد بين هذا وذاك يعتمد قاعدة أبيه: «رزقك الذي قسمه الله لك لن يأكله غيرك».

ينقضي النهار بصبرٍ وطولِ بالٍ، ومالٍ يسيرٍ يناوله محمد إلى أمه، فيما يشجعه حسن مرة أخرى: «يحقُّ لك أن تبقي في جيبك مصروفًا لك!»، فيبتسم محمد ويقول: «عندما أحتاج أطلب منها». بعد العمل، يحين موعد لقاء محمد مع رفاقه في المقر، أو في نزهة على أطراف الضيعة أو خارجها، وخلال مدة قصيرة، كان لمحمد سبعة أصدقاء لا يفارقهم ولا يفارقونه، يوميًا يخرجون معًا عند العصر، ولباسهم الموحد يلفت أنظار كل أهالي البلدة، فقد اشتروا قطعة قماش كبيرة من منطقة صور، وخاطها سعيد عطوي قمصانًا بعدد أفراد المجموعة، وجعلوا على رقابهم قلائد من حبات الجوز المطلي بمادة اللكر الشفاف، وأطلقوا على مجموعتهم اسم «شلة ياي»، أي المجموعة الأكثر تميزًا في عيتيت، فالبلدة تشتهر إجمالاً، بعد التين العيتيتي، بحلقات الأقارب والأصدقاء الذين يجتمعون على الشرفات وأمام المنازل، بينهم مجموعة من الأساتذة والمتقنين، أرادت شلة ياي أن تباهيهم باتحادها شكلاً ومضمونًا.

مساءً، يحضرون عشاءهم، ثم تبدأ السهرة، فينفق هذا مع ذلك، وتعلو الصيحة بين هذا وذاك، وينحاز سعيد عطوي لمحمد دائماً، ويستاء حسن محمد لمقاطعتهم حديثه وعدم اقتناعهم برأيه، وتصل أصوات شجارهم إلى السماء، ويحسم حسن أمره بأن هذه هي السهرة الأخيرة معهم، ثم يأتي مساء آخر، فينضم إليهم، ويتكرر مشهد الأمس، وتعلو الصيحة مجدداً، ثم بعد لحظات، يكملون السهرة بالضحك والعناق كأن شيئاً لم يكن.

وللشلة صندوق يضع فيه المقتدر من أفرادها ما استطاع من نقود، وهذا يعني أن على عدنان أن يدفع أكثر من غيره. يُنفق من هذا الصندوق على السهرات والولائم، وأكثر ما يُنفق منه على حفلات أعياد الميلاد، إذ تحتفل «الشلة» كل شهر بعيد ميلاد واحد من أفرادها، وما تبقى من أشهر السنة يجري تقسيمه على المجموعة مرة ثانية، فيكون لمعظمهم أكثر من عيد ميلاد في السنة. كانوا يدعون إلى الحفل شباب الضيعة، وهؤلاء، صاروا ينتظرون الدعوة إلى عيد الميلاد كل شهر، أو يحضرون بمجرد أن سمعوا صوت الحفلة عبر مكبّر الصوت، حتى إذا ما تزامن موعد عرس في القرية مع حفل عيد الميلاد، فاق عدد المدعوين في الحفل ذلك الذي في العرس. وللصندوق مآرب أخرى، فقد تعاهد الرفاق على جمع مبلغ من المال ينون به بيتاً خاصاً بهم، يلجأون إليه بعد أن يتزوجوا ويصبحوا آباءً وأجداداً، فلا ينقطع اللقاء حتى آخر يوم في العمر.



مع انتهاء الصيف، كانت منطقة برج حمود وحي النبعة ومخيم تل الزعتر قد سقطت. تزوجت أخته فاطمة وسافرت، فأصبح إخوته الثلاثة في الغربية، وكان عليه أن يكمل تعليمه في الثانوية الجعفرية في صور، ويساعد أباه في البيع وتأمين المصروف، فيما لظمت أخته سكنة البيت ولم يعد بمقدورها إكمال تعليمها، فصار يُشركها في دروسه إلى حين تتحسن الأحوال المادية فتلتحق بالمدرسة من جديد.





سباق مع القطار

المحطة الثالثة

من | إلى
ميتت | طهران

الوصول -----

الساعة -----

١٩٧٦-١٩٧٩

سباق مع القطار | من | إلى
المحطة الثالثة | ميتت | طهران

الوصول ----- الساعة -----

١٩٧٦-١٩٧٩

وما زالت ماكينات الخياطة والبضاعة بين جُلِّ وترحالٍ، فقد وجد أبو حسن محلاً للإيجار بسعرٍ زهيدٍ في منطقة بئر العبد، فاستأجره وانتقل بأسرته للسكن هناك. وصار على محمد أن يتوجّه كلَّ يومٍ إلى محل أبيه بعد دوامه المدرسي، يحمل حقيبةً كبيرةً مملوءةً بالبضاعة، ثم يختار كل يوم مكاناً يفترش «بسطته» وينادي على البضاعة، وإذا ما انصرف الزبائن فتح كتاباً حمله معه وصار يراجع دروسه، وإن بصعوبة في التركيز، ثم، وفي المساء، يتفرّغ لحفظ دروسه جيداً.

ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى بدأ محمد يتلکأ في البيع، وشعر أبو حسن بتقصير ابنه الذي كان يتجاوز الأسبوع أحياناً، وكلما سأله عن السبب وعده محمد خيراً، من دون أن يبوح أمامه بالهمّ الذي يثقله، فسنته الأخيرة من المرحلة الثانوية تحتاج إلى وقتٍ إضافيٍّ للدرس، وهو الذي شغف بالعلم وحفظ عن أبيه ما رَدَّده على مسمعه منذ أن كان طفلاً في مدرسة النجاح في سن الفيل: «أريدك رجلاً، رجلاً قويًّا يا بني، بالعلم تبني مستقبلك، الجهل أفقرنا والعلم يغنيك»، في الوقت الذي كُثرت فيه أعباء الأسرة وصار لزاماً عليه أن يساعده في البيع. وما بين البيع والدراسة، ترجح رغبة محمد لصالح العلم على حساب التجوال. وعلى أيِّ حالٍ، لا

جدوى من البوح، فهو يدرك أنّ الحياة التي يجدها كالحة الوجه، تُعدُّ في عُرف والده رفاهيّةً، مقارنةً مع ما كانت عليه حياته الطاعنة في الفقر، ولقد حفظ منه عن ظهر قلب قصص جيل الأُمس الذي اعتمد على نفسه، يقارنه مع جيل اليوم، جيل النايلون الذي يريد أن يصبح كل شيء بمتناوله من دون تعب! لن ينفع بؤُخه عن سبب تقصيره في البيع، كما لم ينفع بؤُخه من قبل عن حاجته إلى مصروفٍ إضافيٍّ لتبديل ثيابه، وهو الذي عُرف بين رفاقه بحرصه الدائم على أناقة مظهره وتبديل ثيابه. كان الأمر في نظر أبيه تذييرًا، فلدى محمد أكثر من سروال وقميص، وإذا ما شاء أن يصرف على مظهره، فعليه أن يعمل أكثر.

أحوال البيع وأيام الدراسة تناوبتها رسائل محمد إلى أخيه حسن، وقد مضى على وجوده في دبي عام ونصف العام، وبعض هذه الرسائل باحت بما يكتمه من همٍّ، فحسن، بالنسبة إليه، الصديق والأخ والأب الذي يرتاح في الحديث معه وإن لم يجد له حلًّا.

هذه العلاقة الورقية، وعلى الرغم مما أفصحت عنه من شوقٍ وهموم، فإنَّ حبرها لم يفعل فعله في ملامسة النبض، كما فعلته حرارة الطين عندما عاد حسن في زيارة إلى أهله، في عطلة ميلاد السيد المسيح (ع) وبداية السنة الميلادية. وبعودته، استبدلت أم حسن بأبيات العتابا زغاريد الـ«آويها»، وتناست عتبا عليه لانقطاع رسائله في الأشهر الستة الأخيرة.



توسّطت حقيبة السفر الغرفة، وأخذ كلُّ واحدٍ يتسلّم هديته: ساعة لهذا، وماكينة حلاقة لذاك، عباءة خليجية لهذه، وقنينة عطر لتلك، أما أسمهان الصغيرة، فلها لعبة كبيرة، أحببتها واتخذتها صديقة لها، تُجلسها قربها وتضع اللقمة على فمها قبل أن تتناولها، وتنام إلى جانبها.

كان من بين الأحاديث اليومية أن تشاطرَ محمد مع حسن الرأي في مستقبله الدراسي، فهو يفكّر جدًّا في السفر إلى الخارج بعد نجاحه، ليتخصّص في دراسة الطب أو الهندسة، لأنه لا يجد في لبنان، الذي أرهقته الحرب، فرصةً ليبنى مستقبله، وبسفره ينقذ العائلة من الفقر ويريح أباه من العمل. وشجّعه حسن ووعده بأن يمده بما يلزمه من دعمٍ مادّيٍّ حتى يحقّق طموحه.

وما أسرع الأيام التي مضت! ووجدت أم حسن نفسها تودّع ابنها من جديد، وقد أقفل حسن حقيبة السفر محمّلةً بأنواع المؤونة البلدية، وغادر، يرافقه محمد إلى مطار بيروت ويوصيه أثناء توديعه ألا يتأخر في رسائله، لأنه لا يطيق أن يرى أمه دائمة الحزن في غيابه.

مضى على سفر حسن أربعة أيام، استفاقت أسمهان على أنامل محمد تجسُّ جبينها وتملّس على شعرها برفق، نهضت مثقلةً، ثم، بعد أن غسلت وجهها، جلس محمد قربها وأخذ يناولها طعام الفطور بيديه. كانت الصغيرة قد بدأت تفقد شهيتها منذ أيام، فحاول أن يرغّبها بالطعام، فاستجابت، لكنها عادت

وتقيأت كل ما تناولته. ولاحظ محمد زرقةً في شفتيها وأظافرها، ثم خلدت إلى النوم مجدداً. كان يرى في وجه أمه القلق الذي يعتربه، فأخبرها أنه يفضل نقل أسمهان إلى مستشفى الجامعة الأمريكية في بيروت لتتلقى العلاج باكراً، وأجابته بأنّ هذا ما تفكر فيه أيضاً. تناولت من «درفة» الخزانة ما كان أحضره حسن معه من نقود، ونزل الثلاثة إلى بيروت، فيما تولّت سكة مسؤوليّة رعاية إخوتها الباقين.

مكث أسمهان ثلاثة أيام في المستشفى، ولم تستجب للعلاج الذي تلقّته، بل كانت حالتها تزداد سوءاً، فطلبت إدارة المستشفى من محمد نقلها إلى مستشفى آخر. أخذها إلى مستشفى البربير، واضطرت أم حسن إلى أن تدخلها على نفقتها الخاصة، ومكثت هناك عشرة أيامٍ إضافية.

في الوقت الذي كانت سكة تهتم بإخوتها، ظلّت مشغولة البال، فأما أخبرتها أنها ستعود بعد يومين، وكلما دهمها القلق لجأت إلى أحوالها ممن ينزلون إلى بيروت، تسأل عن حال أسمهان وتعود مطمئنة البال، إلى أن كان الثامن من شهر شباط، دخلت أم حسن إلى البيت بعد غياب أربعة عشر يوماً، تحمل بيدها لعبة أسمهان.

- أين أسمهان ومحمد؟! سألت مستغربة.

- سيأتيان خلفي. بالكاد أجابت.

صمتت سكنة ودهمها الذهول، وأخذت تتأمل تقاسيم وجه أمها، لم تستطع أن تميز إن كانت مرهقةً إلى هذا الحد، أو أنّ ثمة ما حصل لأسمهان في المستشفى، نفت الخيار الثاني، فهي في نفسها لا تريد أن تفكّر فيه، ثم إنّ أحوالها كانوا يطمنونها عنها طيلة الوقت، وها إنّ أمها قالت إنّها ستأتي مع محمد، ولم تمض دقائق حتى تلاشى ما في داخلها من صراع، صوت سيارة إسعاف يقترب من البيت، خفق قلبها واعتصر، نظرت في وجه أمها تسألها بصمت إن كان الذي تفكّر فيه صحيحًا، فأومأت أم حسن، أغمضت وأجهشت، ثم أخذت تتأوّه بحرقة. استقرّ صوت القرآن أمام البيت، وهرولت سكنة إلى الخارج يتبعها إخوتها. وجدت الناس مجتمعين حول سيارة الإسعاف، بحثت بينهم عن محمد، فوجدته داخل السيارة يُخرج جثمان أسمهان، وقد لُفّت بغطاء أبيض، ويطلب إلى الذين معه أن يحملوها برفق. أدخلت إلى الدار للتوديع ليليةٍ أخيرة، قبل أن تنام في جبانة البلدة إلى جانب أخيها الأكبر علي، واستقبلت بالبكاء والنواح، فيما بدا محمد صلبًا جسورًا، أثناء مواساته لأمه وإخوته وخلال مراسم الدفن وتقبُّل العزاء بغياب أبيه وأخيه، أما في الليل فكان يقصد فراش أسمهان، يعانق لعبتها ويبيكي.

أزهرت شجرة اللوز، وعاد محمد بعد انشغالٍ بالدروس والبيع، ليقتضي عطلة الربيع مع أهله ويراجع دروسه في الطبيعة، إلا أنه، وبعد أيام، وجد نفسه يبحث عن سيارةٍ ليقلّ أمه وإخوته إلى بيروت، فقد بدأت تنجلي الأحداث بعد عملية دلال المغربي في فلسطين المحتلة، ليتبيّن أنّ ربيع عام 1978 في جنوب لبنان سيكون

بلونٍ غير الأخضر؛ تذرَّع العدو الإسرائيلي بالعملية فاجتاح جنوب لبنان، وكان صوت القصف والدخان متواصلًا في محيط عيتيت، خلال اليومين الأولين من الاجتياح، ثم بدأ القصف يطال أطراف البلدة، فغادر محمد بأهله إلى بيروت. هناك، سكنوا بداية في منطقة المتحف قرب المحكمة العسكرية، حيث فتحت قوات الردع السورية عددًا من البيوت المهجورة للنازحين. تلك كانت المرة الأولى من المرات العديدة التي تنقلوا فيها من بيتٍ إلى آخر، سكنوا في بيتٍ من خمس غرف لفترةٍ قصيرة، إلى أن أمَّن لهم بيتٌ في ضاحية بيروت الجنوبية. كان البيت من غرفتين، فيهما من الكراكيب والأثاث العتيق المكسّر، والأوساخ التي رُميت على شرفته، ما جعل محمّدًا يقصده كل يومٍ لتنظيفه حتى يصبح صالحًا للسكن.

بعد ذلك ذهب إلى عيتيت، وكان في ذهابه مخاطرةً، فالعدو الصهيوني دخل البلدة، ووجد جنوده أسلحةً في عددٍ من بيوتٍ ينتمي أصحابها لمنظمة التحرير الفلسطينية، فصاروا يفتشون كل بيتٍ، وكلّ من يريد الدخول إليها. وتمركزت قوات الطوارئ الدولية في كل جنوب لبنان، وعاد محمد وقد أحضر معه ماكينات الخياطة وعددًا من الفرش والأغطية والثياب التي يحتاجون إليها، إلى حين يتبيّن مصير لبنان من الاجتياح.

جاء أبو حسن من السفر، مُرغمًا كان على التماسك أمام أم حسن وأولاده، وإن خانتة دموعه كلما أمسك باللعبة التي أحضرها لها من السفر، وكان أقسى من فقدته صغيرته أسمهان عدم استطاعته زيارة قبرها في البلدة.

وعادت رسائل محمد إلى حسن، تخفي خبر وفاة أسهمان، وتسترسل في الحديث عن أحوال الدراسة والبيع، فقد أصبح محمد على أبواب تقديم الامتحان الرسمي، في الوقت الذي أراد أبو حسن العودة فيه إلى عيتيت، كان وجع معدته وحالته الصحية في تقلب مستمر، والظروف الماديّة ليست سوى انعكاسٍ لصورة لبنان الذي جعلته الظروف السياسية الداخلية والحروب مهترئًا:

أخي العزيز حسن...

وللمرة الثالثة أكتب الرسالة وأعود وأمزقها، لأن أفكاري متضاربة ومتناقضة تمامًا، ولم أعد أحتمل بالنسبة إلى الحالة التي أصبحت فيها...

... منذ وصول والدي إلى بيروت كنا في حيرة، أنذهب إلى عيتيت أم نبقى في بيروت، وقال أبي لتذهب والدي وإخوتي الصغار إلى المدرسة، وأبقى أنا وأبي وسكنة في بيروت، سكنة وأبي للعمل، أما أنا فللدراسة مبدئيًا، ولكن والدي قد عدل في رأيه بعد فترة، وقال: سنذهب جميعًا إلى عيتيت بدون استثناء، وهو الآن في عيتيت وأنا وحدي في بيروت... وما حالة طالب يأتي من المدرسة منهكًا ليحضر الطعام ويغسل الثياب وينظف البيت! ومع كل هذا أنا أتحمل، لأنني أنا الذي اخترت هذا ولم يجبرني أحدٌ عليه، ومن المفروض أن تتأمن راحتي بغيرها من الأسباب... أنت تعرف الشاب يتطلب أشياء وأشياء، فمثلًا، ولا أخفي عليك، إنَّ حذائي ممزقٌ منذ نحو شهر، وإلى الآن لا أملك ثمن حذاء، أما بالنسبة إلى الثياب، فلم يبقَ عندي سوى

بنطال أو بنطال ونصف البنطال إذا أردت الخروج، وعندما أطلب من والدي يقول: «عندما تذهب للبيع اشترِ الذي تريده». هل أترك الدراسة لأبيع وأرتدي الملابس؟

... معي ثمان وعشرون ليرة فقط لا غير، ستكفيني لمدة شهرين، وسأشتري بها حذاء وثيابًا، وأدخر مصروف الطعام وأجرة الطريق إلى المدرسة... إلى أين سنبقى في هذا القطار؟ ستأتي الساعة ويدق جرس المحطة لنغادر القطار، ولكن الساعة إن شاء الله قريبة لأتخلص من هذه الحالة بنفسني... وأنت تعرف من هو أخوك في (الحريقة) والذكاء، لست أفاخر بنفسني، ولكن أقول بأنني قادرٌ على تحمّل أقصى أنواع المشقات من أجل إيجاد السعادة والسعادة التامة.

ولم تكن أخوات هذه الرسالة التي تبعتها أقل اضطرابًا، وإن بدا محمد، من خلالها، أكثر تعاطفًا وتفهمًا لمواقف أبيه، وأشدّ حرصًا على نيل رضاه، فالقلق الذي أصبح رفيقًا دميًا له، كان بسبب تأجيل موعد الامتحانات الرسمية أكثر من مرة، وهو الذي أبدى همّة عاليةً في الدرس، خلال العام، واستعدادًا لإجراء الامتحان منذ تحديد مواعده الأول، وفي كل مرة يقول إنّ هذا هو التأجيل الأخير يُعلن عن تمديد إضافي، وهذا ما لا يتوافق مع ما يخطط له، فوالده يسعى له عبر أحد أصدقائه بمنحةٍ من الإمام السيد موسى الصدر، للسفر إلى الجزائر وإكمال دراسته الجامعية هناك في اختصاص طب الأسنان، لكن للسفر والتسجيل الجامعي في الخارج مهلة محدّدة، فإن تكرر تأجيل الامتحان، فهذا معناه أنه سيكون على حساب السفر، وإن لم يُوفَّق لهذه المنحة فهناك خيارات أخرى

يسعى للتأكد من صحتها، منها الدراسة الجامعية في ألمانيا، فهي مجانية وتؤمن الدولة للطالب جميع مستلزماته الدراسية، بالإضافة إلى مخصص مالي. وما كان بحسبان محمد أنّ يوم الواحد والثلاثين من آب سيكون من جملة الظروف التي تأمرت على مستقبله، وسوف يكون موعدًا لضياع فرصة السفر، فبعد حادثة اختطاف الإمام الصدر في هذا اليوم، بدأ الحديث أيضًا في إدارة الثانوية وعبر نشرات الأخبار عن تأجيل الامتحانات إلى أجل غير مسمى، وإعطاء إفادات نجاح، وهذا معناه أن لا سفر إلى الخارج.

في هذه الأثناء، ذهب محمد إلى عيتبت، وصار يساعد أباه في البيع، واشترى أبو حسن فان «فولكس فاكن» من أحد أبناء بلدته، فيه من الأعطال واهتراء الحديد على جوانبه، والمقاعد الممزق جلدها في الداخل، ما يجعل الشاري يتغاضى عن هذه العيوب نظرًا لسعره «اللقطة». تعلّم محمد قيادته في وقتٍ قصير، وصار يجول القرى بالفان الأبيض، يومًا في العباسية، وآخر في دير قانون النهر، ياطر، معركة... وأبو حسن إلى جانبه، يُخرج رأسه من النافذة وينادي بمذيعٍ يحمله بيمينه، وما زال النداء أمرًا لا يروق لمحمد كثيرًا، اللهم إلا حين يستحكم ألم معدة أبيه، فيأخذ المذيع وينادي عنه، وإن بصوتٍ لا يزال فيه طعمٌ من خجل.

وحدث أن قضى محمد وأبو حسن نهارهما في سوق بلدة معركة، وكان البيع موفقًا، وأثناء العودة، تعطلت الفرامل فيما كان محمد ينحرف في مفرق البلدة، فانقلب الفان وتدهور بهما.

ومكثت أم حسن إلى جانب زوجها في المستشفى ثمانية أيام، خرج بعدها معافى، أما محمد فأصيب برضوضٍ سطحية، فيما انتهى مصير الفنان الأبيض إلى محل قِطْع الكسر.

اقتصرت، في ما بعد، صلة الوصل بين محمد وأبيه في العمل على تأمين البضاعة من بيروت، فشرء القماش وخطاطته، في ظل الشَّحِّ في المبيع، صار خسارة أكثر مما هو ربحٌ، ثم إنَّ العام الدراسي الجديد بدأ، فتسجَّل محمد في كلية العلوم فرع الرياضيات، وسكن مع صديقه إبراهيم بعلبكي في منطقة الشياح، ولم يعد قادرًا على زيارة أهله إلا مرّة في الشهر.

في الوقت نفسه، كان تواصل محمد مع مختلف سفارات الدول جاريًا، من أجل السفر إلى أيِّ دولةٍ تقبل إفادة النجاح، كذلك أجرى اتصالاتٍ بمعارف له في أميركا، ليرى إن كانت تكاليف الدراسة في الجامعة هناك باهظة، أم أنه سيكون بمقدور حسن تأمين المال، فقد كانت الأوضاع الأمنية والظروف السياسية تجعله أكثر تصميمًا على دراسة الطب في الخارج، فلا تكاد تمرُّ ليلةٌ في بيروت من دون سماع صوت القذائف والرصاص. وما زاد الطين بلَّةً، معرفةُ محمد أنَّ قانون الدفاع قد أُقر، وسيجري العمل على تنفيذ الخدمة العسكرية الإلزامية أوائل شهر تموز، ولن يستثنى منه أحد حتى الطلاب، فصار يسعى بأيِّ وسيلة إلى أن يصل إلى نتيجة في بحثه عن جامعة تقبل انتسابه إليها بإفادة نجاح:

تحية أخوية طيبة وبعد...

بعيداً عن الأوضاع الأمنية التي ما زالت تراوح مكانها بالنسبة إلى بيروت والجنوب... لقد طرأ شيءٌ جديدٌ ومهم قلب الموازين بأكملها. ففجأةً وجدنا الطريقة التي سنذلل بواسطتها كل المصاعب التي ستواجهنا. بالنسبة إلى السفر إلى فرنسا، لأشرح لك، ولعلك تعلم أنّ السفر إلى فرنسا نوعٌ من المجازفة، وخاصة بالنسبة إلى الإفادة وإعادة امتحان البكالوريا القسم الثاني، ففيها مشكلة ليست سهلة. وبعيداً عن هذا، فإن الدراسة معقدة وصعبة. لقد اخترت هذا الطريق بعد أن عجزت عن أن أجد غيره. كنت أدري بهذه المخاطر وأصررت عليها، لأنه بإذن الله سأوفق باتكالي على نفسي، والسهر طيلة الليالي في الدراسة. ولكن، والحمدلله، وجدنا الطريق الأسهل بالنسبة إلى الدراسة والإفادة. فبعد أن استفسرنا جيداً عن إيران وعن الدراسة هناك، وجدنا أنّ مستوى الجامعات يضاهاى جامعات أميركا...

عاد محمد يسأل عن المنحة عبر صديق والده، فوعده بها خيرًا، وطمأنه، في حال تعذر الحصول على منحة، أن ستكون له توصية من المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، تسمح له بأن يتسجّل في الجامعة بإفادة النجاح. يبقى أنه يحتاج إلى بعض الترتيبات للسفر إلى إيران، فاستعان بالسيد عبدالله صفي الدين، أحد أقارب أمه، الذي أطلعه على الخطوات التي يجب عليه فعلها، قبل أن يسبقه إلى إيران، على أن يبدأ محمد بتعلم اللغة الفارسية فور وصوله إلى البلد الجديد، وقبل بدء العام الدراسي.

بعد مريم، حسن، فاطمة، استعدت أم حسن لغربة الرابع، وكأن الغربة صارت قدرًا لها، وهي التي ما رغبت بشيء في الدنيا أكثر من لَمّ الشمّل. وحاول محمد أن يبدو متماسكًا أمام دموعها وهي تتفقد المؤونة التي وضعتها في حقيبتها: عدس، برغل بنوعيه: الناعم والخشن، تين يابس، بابونج، صعتر وزيتون، ففي بلادٍ تختلف لغتها عن لغته، لا تدري أم حسن ما الحال التي سيكون عليها مأكّل ومشرب ومنام هذا العنيد، الذي لظالما أجبره عناده على أن يلفّ رغيفًا ناشفًا ويتناوله إن كان الطعام لا يعجبه. كلُّ الصلابة التي أظهرها محمد بدت هشةً أمام عروق الحزن التي اجتاحت بياض عيني أبيه، خانته دموعه، على الرغم من المكابرة، وأفلتت، وهو الذي اعتاد السفر ولم تكسره شدة. للمرة الأولى يفصح أبو حسن عن كثير حبّ بكثير دمع.

وقبل سفره، بدا محمد أكثر التصاقًا بالأشياء التي سيغادرها، صار يتمعن في تفاصيل لم يكن يُعبرها انتباهه، فهي من لزوم المشاهد العابرة التي كان يمرُّ عليها نظره: ورود الياسمين، شجرة ضي القناديل، عريشة الدار، السلم الخشبي الذي اتخذه درجًا مختصرًا ليصعد إلى السطح ويدرس، مقرّ «شلة ياي» وما فيه من فوضى هنا وهناك. وفي الحفلة التي أقيمت لتوديعه فاضت ذكريات الرفاق ونهفاتهم:

- أتذكّر عندما صببت عليك سطل الماء في الشتاء وأنت تدخل لتسهر؟
- يا لها من ليلة، تحوّلت لسهرة مطاردة، لم يفلت حسن محسن وهو يهرب من تنكة الماء فشقت شفته!

- سريع الغضب صاحبنا، دائماً ما يحوّل اللعب إلى جد.
- وهل لعبكم يتحمّله مخلوق؟
- لا تستفزّوه، لم نصدّق أنه خرج من حزنه وعزلته.
- أنا الذي أخرجته من عزلته، لكنه حسّاس جدّاً.
- القصة كانت أكبر منه يا رجل، تخيّل موقفه وهو يخبر رفيقه عن البنت التي يحبها، ففوجيء به يخبره أنه يحبها أيضاً.
- أنا نسيتهما وأنتم ما زلتم تتذكرون!
- المضحك في الأمر أنه عندما جاء محمد «ليكلها فأعماها»، أراد أن يساعد حسن لينساها، فأخبره أنها تحب رفيقه أكثر منه.
- والمضحك أكثر أنّ محمد أقنع حسن وصديقه وأقنعنا بحضور زفافها من ذاك الذي لا نطيقه.
- محمد يستخدم دائماً أساليبه الدبلوماسية ليحقّق ما يريد.
- عندما أعود طبيباً لن أبقى لأيّ منكم ضرراً أو سناً.



سباق مع القطار

المحطة الرابعة

من | إلى
طهران | قم

الوصول -----

الساعة -----

١٩٧٩-١٩٨٠

سباق مع القطار | من | إلى
المحطة الرابعة | طهران | قم

الوصول ----- الساعة -----

١٩٧٩-١٩٨٠

- فردا بيا.

...

- فردا بيا.

معزوفةً اعتاد محمد سماعها بعد أن وصل إلى طهران في الثامن عشر من أيار عام 1979م، واستقرّ في السكن الجامعي للطلاب من الخارج، ومنه انطلق في جولات بحثٍ للحصول على منحةٍ، وإيجاد معهدٍ يكتسب من خلاله اللغة الفارسية، كخطوةٍ لازمة، قبل بدء العام الدراسي في كلية الهندسة أو الطب.

بعد جولات بحثٍ استمرّت لعشرة أيام، كانت المعاهد التي قصدها مغلقة، منها ما أُغلق بسبب العطلة الصيفية، ومنها ما أُغلق بسبب الأحداث التي تلت الثورة الإسلامية. واتصل محمد بصديقه عبدالله في مدينة قم وقصده في زيارةٍ لثلاثة أيام، بحث أثناءها عن معاهدٍ أيضًا، فكانت كتلك التي سبقتها، فعادا معًا إلى طهران، وهناك علما من الشاب اللبناني ياسر فقيه، أنّ في جامعة «أبو ريحان البيروني» صفوفًا تعليميةً للغة الفارسية.

قصد محمد وعبدالله الجامعة التي تقع جنوب شرق محافظة طهران. هناك علما أنّ الانتساب إلى صفِّ لغةٍ والحصول على منحةٍ دراسية، يحتاج إلى موافقة من وزارة التعليم العالي، فاتجها إليها. سألًا موظفة الاستعلامات عن كيفية الحصول على الموافقة، وكانت تحوِّك كنزة بخيط الصوف، فأجابت باللغة الفارسية: «فردا بيا»، وترجم عبدالله لمحمد: «فلنعد في الغد»، ثم أُبعت أنّ الموافقة لا تتم من دون شروط أعضاء اللجنة المختصة، وهذه اللجنة كانت في زمن الشاه، وبعد مغادرته إيران، غاب أعضاؤها عن الحضور.

في اليوم التالي أطلَّ محمد برأسه من الفتحة الزجاجية كما طلبت منه الموظفة أمس، فأجابت: «فردا بيا». هزَّ برأسه وانصرف، ثم عاد في اليوم الثالث، أيضًا: «فردا بيا!»، صار يقصدها كل عدة أيام، فيسمع الجواب نفسه، حتى صارت هذه الجملة هي اللغة الفارسية الأولى التي أتقنها من دون صفِّ تعليميٍّ، وانقلبت الآية بعد ذلك، فصار يطلُّ برأسه من الفتحة الزجاجية ويبادر: «فردا بيا!»، فتومئ برأسها: «فردا بيا».

ما بين ذهابٍ وإيابٍ، انقضى الصيف على هذا المنوال، وتعرّف محمد خلال تلك الفترة على شابٍّ في الجامعة، من محافظة خوزستان، يتقن اللغتين العربية والفارسية، فطلب محمد إليه أن يعلمه اللغة الفارسية ريثما تتم الموافقة على انتسابه إلى جامعة «البيروني».

بدا محمد سريع الاستجابة للغة الجديدة، لما فيها من كلماتٍ تتقاطع مع لغته الأم، وكان عندما يفتقد وجود زميله الخوزستاني في المكان الذي يلتقيان فيه يوميًا، يجول بحثًا عنه في الحرم الجامعي وما حوله. وفي وقت سريع، أخذت دائرة الثلاثة تتسع، من رفاق الشاب الخوزستاني، وكان هذا الأمر مناسبًا لمحمد، إلا أنّ حديث السياسة صار يتسلل شيئًا فشيئًا إلى الحصة التعليمية، تبعًا للأحداث اليومية، إلى أن بدأ يطغى على حساب الهدف الأساس، وتبين أن زميله الخوزستاني يتعصب لحركة «مجاهدي خلق»، وما صار يطلق عليها «منافقي خلق». أخذ الخوزستاني يعترض على الخطوات التي كان يقوم بها الإمام الخميني، بعد إعلانه تأسيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية، من استفتاء شعبي، وتشكيل حكومة مؤقتة برئاسة «مهدي بازركان» بدلًا من حكومة «شابور باختيار»، وحلّ أزمة الفوضى والحرب المسلّحة في مدن محافظة كردستان. هذا النقاش كان يحدث في كثير من الأحيان، مما يثير قلق صديقه عبدالله، فهو، وبحكم معرفته السابقة أثناء وجوده في مدينة قم، يدرك أن «منافقي خلق» يغتالون من يعارضهم، لذلك فضّل إلغاء الدرس اليومي من أساسه، لكنّ محمدًا أقنعه بأسلوبه، بمتابعة الحضور معه، على أن يتفق مع الخوزستاني على تأجيل حديث السياسة إلى أوقاتٍ تناسب الطرفين.

يبقى أنّ زيارته لنائب رئيس الوزراء الدكتور مصطفى شمران، والتي طمأنته في الحصول على منحةٍ دراسية، صار يشوبها القلق، فقد عاد كثيرٌ من الطلاب الإيرانيين من الخارج لإكمال دراستهم،

وأصبح عددهم الكبير عبئاً يُضاف إلى هاجس قبوله في الجامعة، ذلك أنّ ازدياد عدد الطلاب في الجامعات، يقلل من فرص قبول الطلاب من الخارج.

أخي الحبيب حسن أدامك الله...

كما أخبرتكم في رسالةٍ سريعة قبل أربعة أيام، فقد حصلت على القبول في الجامعة في اختصاص طب الأسنان، من دون واسطةٍ من أحدٍ أبداً. وقد جرى قبولي كمستمع حر، لأنني، كما أخبرتكم منذ مجيئي، لم أوفق في الدراسة في معهد لغة، وقد تعلمت اللغة من الشارع وحدي، فلذلك من الطبيعي أنني لن أستطيع أن أدرس بشكلٍ يضمن النجاح، لهذا، أعتبر تسجيلي، هذه السنة، دراسة لغة ودراسة جامعية، ويحقُّ لي أن أدرس في الصف النظري والعملي، وأنا الآن أداوم في الجامعة بشكلٍ عاديٍّ، ولكن لا أستطيع أن أشارك في الامتحانات للسبب الذي ذكرته، في هذه الحالة أكون قد استفدت وتعلمت اللغة بشكلٍ أفضل، وفي الوقت نفسه أكون قد درست في الجامعة واطلعت على الدروس أكثر، وبذلك أوّمن النجاح المطلوب، إن شاء الله، في الامتحانات للسنة القادمة.

الجمهورية الإسلامية الإيرانية - طهران - شارع العامل (أمير أباد شمالي) - المسكن الجامعي للطلاب الخارجيين - رقم البناء -23-

داخل السكن، كانت الوسادة أثقل الأشياء في غرفة محمد على الرغم من نعومتها، فمتابعة المحاضرات في الجامعة، وإن كانت تقلّم من حدّة غربةٍ استعصت على إلفة المكان، إلّا أن المناكفة التي تبدأ بها ذاكرة عيتيت ما إن يستلقي لينام، تجعل وسادته عاجزة عن غربة أي من اللحظات التي حفظتها، بما فيها من راحةٍ ووجع؛ بسمه أمّه الدائمة وما يختبئ خلفها من حزنٍ وصبر، دمعة أبيه في المطار، وجوه إخوته، حبقات الدار، مقر «شلة ياي» وما سكنه من فوضى، وتسلية، وضجر، وحُب، ومشاكل، ونكات أُعيد تصنيعها لمحو الهموم الصّدئة. وحتى اللحظات التي كانت تافهةً بنظره، وجد محمد أن ذاكرته حفرت تفاصيلها بعناية؛ عواء ابن آوى الذي كان يأتي صده من الجزء الغائب من طرف الجبل المعتم ليلاً، أباتم هرب فيها من أبيه ليُدخّن السجائر، فاكتشف أمره بعد أن لحظ والده نقصان عددها من العلبة، وصار يلجأ إلى دكان خاله ويأخذها منه، ثم يدخنها في البستان مع أخيه حسن.

وبدت غرفةً مجاورةً في السكن الجامعي أكثر تعاونًا، لتخلّص إلى مصالحةٍ بين محمد والليالي المتراكمة في تقويم الغربة، فقد تعرّف إلى الصديقين اللذين يستضيفان عبد الله في غرفتهما؛ حسن عز الدين، الذي سبق أن التقى محمدًا في لبنان وشجعه على السفر إلى إيران، فهو يدرس في كلية الهندسة في جامعة «ملي»، وخضر نور الدين أيضًا طالب هندسة في الكلية. كانت قد جمعت عبدالله وحسن وخضر في لبنان نشاطات إسلامية ثقافية، كلٌّ في منطقته، أمّا محمد، فنشأته الدينية كانت مقتصرة على الصلاة صغيرًا، في

جمعية أسرة التآخي عندما كان في برج حمود، وكذا معرفته بأن والده يؤدّي الخمس والزكاة عند الإمام السيد موسى الصدر قبل اختطافه، أما الدخول في التنظيمات والأحزاب التي كانت في عيتيت فلم تكن في دائرة اهتماماته.

ويُعدُّ طلاب الهندسة عمومًا من الطبقة المخملية التي تتفرّغ للدرس فقط، وكان حسن وخضر من الشبان الذين لم يتفاوضوا مع مكوّنات الطعام ليصنعوا وجباتٍ كتلك التي كانا يتذوّقناها في لبنان، فاقترص طعامهما على وجبات كافيتريا السكن الجامعي، في كل يوم تكون وجبة الغداء صحن أرز مع قطعة سمك أو لحم أو دجاج. أمرٌ لم يستسغه ضرس محمد طويلًا، فهو اعتاد على المأكولات البيتية، لذا، بدأ يُعدُّ الأصناف التي توافقت مكوّناتها مع مؤونة أمه: مجدّرة أرز، مجدّرة حمراء، كمّونة بندورة، ومأكولات أخرى تعيد للأصدقاء الأربعة حنينًا إلى أيادي أمهاتهم. أما خبز الحصى، واسمه «نان سنكك» فقد أضاف مذاقًا أحبّوه، لاسيما عندما عرفوا أن تاريخه يعود إلى الشيخ البهائي (بهاء الدين العاملي)، أحد أكبر علماء جبل عامل، والذي هاجر إلى إيران في القرن الحادي عشر في عهد الدولة الصفوية.

من بين كلّ الأحاديث والنقاشات الدينية وغير الدينية التي يتناولها الرفاق الأربعة في جلساتهم، ثمة ما كان يشغل تفكير محمد: أيُّ رجل هو الإمام الخميني؟! كيف وصل إلى ما وصل إليه؟ كيف استطاع أن يجعل له هذا المدّ البشري من المؤيدين لثورته؟ كيف تمكّن بثورةٍ بيضاء أن يطيح بحكم ملك الملوك؟! التناقض

الصارخ في طهران، بين قصور سعد آباد ونيواوران وممرم، وغيرها من القصور التي تمتلئ غرفها وصلاتها بالأرائك والكراسي والسجاد والستائر الفخمة، والتماثيل المعدنية لأشجار نخيلٍ بثمارٍ من الذهب الخالص، التناقض بينها وبين أحياءٍ كثيرة يعيش سكّانها في جحورٍ لا ماء فيها ولا كهرباء، ولا طرقٍ معبّدة، يحكي المعاناة، منازل كثيرة تقع في حفرٍ عميقة، يضطرّ أصحابها إلى صعود خمسين درجة ليصلوا إلى سطح الشارع، والمرأة هناك، ولكي تحصل على حاجتها من الماء، عليها صعود هذه الدرجات، وإن في برد الشتاء، لكي تملأ جرّتها، وكثيرًا ما تقع وتتدحرج أثناء نزولها. كل هذا كان يسهل أمام الاسم الأكثر رعبًا: «السافاك»، منظمة المخابرات والأمن القومي التي أسّسها الشاه، وما كانت تمارسه من قمعٍ وتجويعٍ وتعذيبٍ وإعدامٍ بحق معارضي النظام البهلوي. كان يكفي أن يُذكر أمام أي معارضٍ اسم سجن «أوين»، حتى يتبادر إلى ذهنه ما ذاع عنه من فنون تعذيبٍ وصلت إلى حدّ قطع الأرجل بالمناشير، ومنهم من جرى وصله بالكهرباء، أو وُضع في مقلاةٍ وأشعلت النار تحته حيًّا حتى احترق. هذا فضلًا عن بحيرة الملح، التي ذوّب فيها ما لا يُحصى من أجساد معارضين ألقوا فيها.

ومحمد، غير بعيد عن أحداث ما بعد الثورة، فقد كان في صلبها، يتابع خطابات الإمام الخميني شبه اليومية، عبر التلفاز والمدىاع. وفي الجامعة، حيث تدور النقاشات بين الطلاب في جامعة «ملي»، بدأ الحديث عن توجه الإمام لثورة ثقافية داخل الجامعات، من أجل تغيير مناهجها التعليمية الغربية، التي كان نظام الشاه

قد أقرّها، وتكرّرت خطابات الإمام حول هذا الأمر لأهميته عنده. كانت هذه الخطابات، على تنوع الموضوعات التي تطرّق إليها الإمام لإعادة النظام إلى أصالته الإسلامية، تُقدّم إلى محمد جوابًا عما كان يسأل عنه، فالتوجّه إلى الله والتغيير الداخلي هما سر انتصار الثورة، هكذا كان يشير الإمام دائمًا، وأنّه ليس من حقّق النصر، إنما الرعاية الإلهية لشعبٍ اتحد في كلمته بوجه الشاه، بعد أن كان يخافه.

ولاحظ رفاق محمد أنه وفي وقتٍ قصيرٍ، بدأ يتفوّق في حديثه، فهو متابعٌ دقيقٌ لمجريات وأحداث الثورة وخطابات الإمام، يملك قدرةً على تشخيص الأهداف التي يحدّدها الإمام في احتياجات المرحلة، وما تتطلبه عملية التغيير، فيعدّدها، بدءًا من التخلص من المظاهر الطاغوتية، وحلّ مشاكل المحرومين والمستضعفين، وإزالة التباین الطبقي، وتنقية لجان الثورة والحرس، واليقظة أمام الانتهازيين الذين يخزّبون الثورة، وضرورة التصدي للجماعات المعارضة، إلى مواجهة الشعارات التي يطلقونها، وبينها الدعوة إلى الإسلام من دون علماء. وهذه مسألة كانت في غاية الخطورة في نظر الإمام، لأن العلماء هم حصن الإسلام. وما محاولات الاغتيال التي بدأت بعد الثورة مع الشهيد مرتضى مطهري، ثم طالت السيد محمد باقر الصدر، ولا تزال مستمرة، سوى لتدمير هذا الحصن.

ما عاد يظهر على محمد ضيق الصدر والشعور بالغربة في هذه البلاد، ولم تعد تتلاطم صراعاته الداخلية في رسائله، وعندما يلفظ اسم «الخميني» يبدو شعوره كمشتعلٍ بنار الشوق، وفي وقتٍ قصير، وبعد أن ترسّخت لديه قناعة بأنّ كل ما يفعله الإمام الخميني هو السير في طريق الأنبياء وحمل رسالتهم، قرّر أنّ الأطباء والمهندسين في البلاد كثير، فيما المرحلة الآن تحتاج إلى من يشقُّ طريق الأنبياء ويكمل الدور، إلى علماء يكونون حصناً مدافعاً عن الإسلام.

هذا القرار، وإن بدا طبيعياً لعبد الله وخضر وحسن، وغريباً في نظر قاسم اسطنبولي وداوود يونس، وهذان سيقاه في اختصاص الطب، وواكباه ودعماه لما وجدا عنده من قدراتٍ كبيرة في اكتساب العلوم، إلاّ أنّه سيكون قراراً شبه مستحيلٍ عندما يبلغه لأهله في زيارته القريبة لهم هذا الصيف، فهم تحمّلوا فراق السفر ليعود إليهم طبيباً، ثم إنّ عالم الدين، في العرف العام عندهم، سيعيش طيلة حياته فقيراً، إن لم يكن عالماً على أهله، وبمعزلٍ عن هذا، ماذا سيكون جواب محمد عن التكاليف الماديّة التي أنفقها حسن عليه، وحرّم نفسه منها من أجل أن يفتخر بطبيب العائلة؟ وعلى أيّ حال، فإن قانون المشورة المعتمد في بيت أهله، سيجعل بعض الأصوات تقف بصفّه في هذه المسألة، وأهمها صوت سكرة.

وكان أن تسلّم إبراهيم درويش في السعودية رسالة من محمد، تفردت في فحواها عن سابقاتها، يخبره بقراره الجديد، ويطلب إليه إبداء رأيه:

أخي المؤمن إبراهيم...

قال الإمام علي (ع): «يا نوف، طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، أولئك قومٌ اتخذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن شعاراً، والدعاء دثاراً، ثم قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح...».

عجباً يا أخي إبراهيم، لمن يصرف كل طاقاته في سبيل دنياه، عجباً لمن عُرس في نفسه حب الدنيا، ونسيان الآخرة، عجباً لمن طُغي على قلوبهم، وتلبس الشيطان بهم، فأصبحوا لا يعرفون إلا حب الدنيا، وحب الذات، والحقد والطمع والجشع....

أخي إبراهيم... إنَّ الحديث عن الإسلام والرسالة الخالدة لا ينتهي أبداً، ولكن، لا يسعنا نحن إلا أن نتذاكر باستمرار، ونتحدّث في أي موضوع إسلامي يهم المسلمين كافة...

فله الحمد على هدايتنا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ونسأل الله عز وجل أن يزيدنا إيماناً و يقيناً، ويجعلنا من المستشهدين في سبيله.

ونسألكم، في حال توجهتم إلى المدينة المنورة أو إلى مكة، نسألكم دائماً أن تذكرونا بالدعاء هناك، ولكم على الله الأجر.

ولعلّ المجال يتسع لإخباركم عن أخ لكم في بلدٍ مجاور، فأخبركم، ولله الحمد، أنني بصحة جيدة، وبالنسبة إلى الدراسة فلا شيء جديد عن الرسائل السابقة، فالجامعة في أحوال جيدة، والدراسة على ما يرام، وفعلاً، في هذه الأيام أفكر جدّياً بترك دراسة طب

الأسنان، والتوجّه إلى فرع آخر: كلية الإلهيات والدراسة الحوزوية في مدينة قم. فهذه الفكرة قيد الدرس، لأنه باعتقادي، هذه الدنيا ما هي إلا جسر مُرٌّ عليه، لنقطعه إلى شاطئ الأمان. فمهما كنت، مهندساً أو طبيباً، أو رجلاً عادياً أو معممًا، فبالنهاية لن تُسأل إلا عن أعمالك...

لا تتفاجأ بهذا أبدًا، ولعلك تقول ما هذا التحوّل السريع. من حَقِّك أن تقول هذا، ولكن، لعلّ الأفضل هو التوجّه نحو الخيار الثاني، وهذا الموضوع قابلٌ للبحث، ولأخذ الآراء...

هذه هي الأخبار التي أعتقد أنه من الواجب إخباركم إياها، لأنكم سوف ترون تحوّلًا في حياة أخ لكم، ومن واجب الأخ إخبار إخوته بذلك، وإلى الآن لم أرسل للأهل والإخوة في لبنان وسوريا، وبعد فترة سأكتب لهم هذا، ولكن ليس الآن...

وقبل أن يحين موعد زيارة محمد إلى أهله لإطلاعهم على الأمر، طُرق باب أبي حسن مع بداية الصيف، وكان قد انتقل في سكنه إلى منطقة مارون مسك في الشياح. جاء عبدالله صفي الدين وخضر نور الدين لإقناع العائلة بالشيخ الجديد، استهلَّ عبدالله حديثه بأهمية العلوم الدينية ودور العلماء في الوقت الحاضر، فظلَّ أبو حسن صامتًا، تنحنح عبدالله، فأكمل خضر، وأخذ يستعرض مزايا محمد التي بانَّت في شخصيته وتتوافق مع القرار الذي أخذه، واستمرَّ أبو حسن في صمته، لكن قيامة سكنة قامت:

«لماذا يريد أن يصبح شيخًا؟ في عيتيت ما يكفي من المشايخ!».
 ما بين أخذٍ وردٍّ، لم تقتنع سكنة، أما أم حسن فأكثر من
 الحوقلة والتساؤل مستهجنة:

«أرسلناه ليتعلم الطب ويريد أن يصبح شيخًا! سيكون لي
 معه حديث آخر عندما يأتي».

واستفاقت سكنة في منتصف الليل على أبيها يروح ويجيء في
 ممشى البيت، وهذه كانت عادته في حالتين: ألم معدته أو قلق لأمر
 مهم.

- هل أعدُّ لك الزهورات؟

- لا.

- إذًا، أفصح عما يقلقك!

- كنت أنتظر اللحظة التي سيعود فيها محمد طبييًا أفتخر
 به أمام الناس، ويعينني في فقري وكبري، لكن، في الوقت
 نفسه، هو اختار طريقًا فيه رضى الله وجنةً لآخرته. لذلك،
 لا يمكنني أن أقف في وجهه على حساب ما أريد للدنيا.

لم يمضِ وقتٌ طويل حتى طُوي عام السفر الأول، وعاد
 محمد إلى أهله، نسيت أم حسن قرار ابنها وما يريد أن يكون عليه
 مستقبلاً، وقضت وقتها تمسح على وجهه ولحيته التي امتدّت على
 مساحة ذقنه، بعد أن كانت زغبًا، تمرّر أصابعها في شعره، تتفقد
 وزنه، تسأله عن أنواع الأطعمة التي اشتاق لتناولها، لكنها لا تلبث

أن تجلس قرب أبي حسن وتسأله إن كان يلاحظ أنّ ابنها قد جُن،
فها هي تستيقظ في منتصف الليل لتراه يصلي بدلاً من أن ينام.
وسرّت أخته دلال بقصص الأنبياء التي أحضرها لها هدية،
وكانت من بين أخواتها أكثر ميلاً لارتداء العباءة، فوجدت في محمد
سندًا لها. وجاء ابن الخال حسن محسن ليهنئه بالسلامة، فأخذت
سكنة تخيئُ أمام محمد ما انفلت من خصلات شعرٍ بارزة من تحت
المنديل.

- أجننت؟ صرخ حسن بمحمد.

- تمهّل لأفهمك وجهة نظري.

- أنت لا تعرف مصلحتك جيّدًا.

- اسمعني قلي... ..

- يا رجل! أنتسبدل الدراسة الدينية بالطب؟ هل من عاقل
تعب كل هذا التعب ليصل إلى ما يريد ثم يفعل فعلتك؟
ماذا تفعل بالمال الذي أنفق على تعليمك؟ ومصاريف السفر؟
ورأي أهلك الذي ضربت به عرض الحائط؟

- اس..

- لا أريد أن أسمع رأيك. أنت الذي يجب عليك أن تسمعني،
إذا كنت ترغب في الدراسة الدينية، فيمكنك أن تتفرغ لها
صيفًا، وبهذه الطريقة لا تضيّع فرصتك في دراسة الطب.

- المشكلة هنا.

- المشكلة عنادك.
- المشكلة أنه لا دراسة دينية في الصيف، ثم إن الأولوية لهذا الخيار عندي، وها أنت تدرس الطب، وإبراهيم بعلبكي أيضاً، وغيركم كثير، ومتابعتي أو عدمها، لن تقدّم أو تؤخّر كثيراً في المجتمع، على العكس من الدراسة الدينية، هي الأولوية في هذه المرحلة.
- لم تقنعني!
- هناك حلّ آخر، نذهب معاً إلى أحد العلماء الثقات، وستكون خيرة الله هي الحكم بيننا، هل توافق؟
- أوافق.
- أثناء الطريق، من الشياح إلى حيّ السلم، لم يهدأ لسان حسن ليثنيه عن رأيه، فيما كان محمد ينتظر مساحة من السكوت، ليطلب إليه أن يصبر ليرى ماذا سيختار له الله. فتح عالم الدين كتاب القرآن، تمتم، نظر إلى محمد: خيرتك الأولى جيدة، افعّل. والثانية نهّي فلا تفعل. اعترض حسن: «ليتنى لم أوافق على طريقتك، هذا الاختصاص ليس منكراً حتى يحتاج إلى خيرة!».
- أتقبل خيرة ثانية على أن تكون نهائية ولا تناقشني في ما بعد؟
- أوافق.



مجدّدًا: «افعل في الأولى، أما الثانية فلا». قال عالم الدين.
وفي طريق عودتهما، سكت حسن طيلة الوقت، وما إن وصل
إلى أمام المدخل، حتى التفت إلى محمد وقال: «غداً تنتظر شلة
ياي في عيتيت».

- بالمناسبة، لعب الورق غير جائز.

- بدأت تُصدّر الأحكام الشرعية علينا!.





سباق مع القطار

المحطة الخامسة

من | إلى
قم |

الوصول

الساعة

١٩٨٠-١٩٨١

سباق مع القطار | من | إلى
المحطة الخامسة | قم |

الوصول | الساعة

١٩٨٠-١٩٨١



مع كل فجر، ومنذ أن قَدِمَ إلى قم واستقرَّ في مبنى الحوزة العلمية للطلبة اللبنانيين، كان محمد يجافي فراشه، ويرتدي معطفًا سميكًا، ثم يتوجّه إلى مقام السيدة فاطمة المعصومة (ع) لأداء الصلاة.

والمسافة سيرًا على الأقدام من شارع الصفائية إلى المقام، لم تكن تحتاج إلى أكثر من ثلث ساعة، لكنَّ درجة الحرارة المتدنية إلى ما دون الصفر، كانت تجعله يصل والبرد نخر عظامه وجمّد حركته. إلا أن السكينة، التي تأخذ بلبّته بمجرد أن يصبح داخل الحرم، دفءً له طعمٌ آخر، حبّذا لو يجزّبه أولئك الذين تدثّروا بغطاءٍ وسقف.

وإلى أن يتفتّح وجه الصباح، بين تلاوةٍ لقرآن الفجر، وصلاةٍ ودعاء، تنشط حركة الناس نحو الحرم تدريجيًا، منهم من سحب بطانيته السميقة ولقّها حول رأسه وبدنه، ومنهم من جاء يحمل بيده كتابًا، فينضمّ كمحمد، إلى حلقة رفاقه من طلبة العلم ليدرس على يد أستاذه.

ثم، بعد أن ينتهي الدرس، تبدأ مباحثات الطلبة في ما بينهم، فتقسم الحلقة الكبيرة إلى جلسات ثنائية، ويتناقش كل طالب مع آخر في ما درسه خلال النهار.

في هذا الوقت، كانت أعداد الطلبة اللبنانيين تتزايد في الحوزة، فتنشعبت لقاءات محمد بمزيدٍ من الأصدقاء، الذين أضيفوا إلى السيد عبدالله والشيخين حسن وخضر، الشيخ عبد الكريم عبيد، وجهه لم يكن جديداً، فقد التقى به محمد أكثر من مرّة في منزل السيد جعفر مرتضى، وكان لا يزال في جامعة «ملي» بطهران، ويقصد قم أيام العطل. والشيخ أنيس جابر، وهذا عندما يُذكر اسمه يُقترن بالعاشق الوليه للإمام الخميني، فهو يمكنه أن يتحمّل النقاش في أي أمرٍ، سوى أن يتعلّق بأعلمية الإمام، وصوابية الموضوعات التي يتطرّق إليها في خطاباته، فيواجه بالدليل، ويبرز شهادات الأعلمية بحقه، ويدعو إلى تقليده. هذا الأمر توافق مع شخصية محمد وجهده الحثيث أيضاً، في إرسال شهادات الأعلمية بحق الإمام إلى لبنان والدعوة إلى تقليده، ونشرها على أوسع نطاق. وذات يوم، دعا الشيخ خضر نور الدين عدداً من الرفاق والعلماء إلى بيته، لذبح شاةٍ عن ابنه الصغير، وتأخّر أحد المدعوّين في الحضور، واسمه أبو سعيد الخنسا، وعندما وصل، وجد شاباً أمام عدد كبير من المدعوّين، يضع كتاباً فوق آخر بقوة، ويقول بصوتٍ حاد: «وهذا الكتاب؟ ألا يثبت أعلمية الإمام؟ وهذا الكتاب؟ وهذا؟ وهذا؟!»، وعندما سأل عنه قالوا: إنه الشيخ محمد رملوي، هادئ الطباع، يمكنك أن تناقشه في أيّ أمر، إلا أن يتعلّق بالإمام الخميني وأعلميته.

أما الشيخ مالك وهبي، فهو كان طالبًا متفوقًا في اختصاص الرياضيات في كلية العلوم، دعاه الشيخ أنيس إلى إيران ليدرس العلوم الإلهية، فلبّى من دون نقاش. ولكثرة ما حكى له الشيخ أنيس عن مزايا الشيخ محمد، أحبّ أن يتعرّف إليه، وكان كما وُصف: بشوش الوجه، ترابيّ العلاقة، هادئ الصوت إلى حدّ الخجل، كثير الحركة، يتنقّل من مكان إلى آخر ليقدم طلبه العلم الذين قدموا حديثًا إلى إيران ويصعب عليهم ترتيب أمور معيشتهم، لعدم إتقانهم اللغة الفارسية، أو بسبب أزمة السكن التي كانت تعاني منها قم بعد انتصار الثورة، فهي لا تقلّ صعوبةً عن أزمة تحصيل الغاز والسكّر والحاجيات، فتحصيلها يحتاج إلى ساعاتٍ وساعاتٍ من الانتظار.

وحدث أن ضرب المنطقة زلزال، وأصيب مبنى الحوزة ومعظم البيوت المحيطة بأضرار، فاضطر الطلبة إلى مغادرته، والبحث عن سكن جديد. وبعد جهد، وجد الشيخ خضر لرفاقه غرفةً للإيجار، تقع بمحاذاة بيته في شارع «جب شور»، وهي غرفةٌ علويةٌ، لها درجٌ منفرد عن الطابق الأرضي لجاره الإيراني، تُستخدم عادةً للضيوف، أو للابن الأكبر عندما يقرّر الزواج.

انتقل الرفاق إلى السكن الجديد، ينقصهم السيد عبد الله، فقد مرض والده، فغادر إلى بيروت. في الغرفة، مُدّ بساطٌ فوقه طراريح رقيقة، اشتراها الشيخ محمد من السوق، تُصَفُّ طولًا في الليل كي يتّسع المكان للنائمة، أما في النهار، فتصبح متكأً يجلسون على عددٍ منها، فيما يطوى الباقي في إحدى الزوايا.

واتخذ الشيخ أنيس من زاوية ثانية مقرًّا له، وشرع بدقّ المسامير في الحائط، وثبت عليها رفًّا حديديًّا، ولما سئل عن السبب، أجاب وهو يضع المسجلة على الرفِّ، وبجانبها مجموعة من الأشرطة: «كي لا أزعج أحدًا منكم أثناء تسجيل خطابات الإمام الخميني».

واتفقت المجموعة على أن تتناوب في ما بينها على إعداد طعام الغداء. وكان دور الشيخ حسن أوَّلًا، فطلب من محمد أن يشتري الحاجيات المطلوبة، على أن يقوم هو بطهي الطعام ففعل. وانتظر الجائعون إلى أن فرغ من إعداد الطعام، فأقبلوا على المائدة. لاحظ الشيخ حسن أنهم يأكلون كما لو كانوا مجبرين، وهو، في قرارة نفسه، يدرك أنهم على حق، فبينه وبين مهمة الطبخ جفاء طويل، ولكي يوقّر عليهم إبداء آرائهم بادر: «هذا هو الموجود!».

في اليوم التالي، كان دور الشيخ عبد الكريم، فوعدهم بـ «فراكة اللحم» إحدى المأكولات اللبنانية التي يشتهر بها الجنوبيون. أخذ يحدثهم عن براعته في إعداد الطعام، فقد كان أصغر إخوته، واضطرَّ إلى ترك جبشيت والسكن وحده في بيروت من أجل الدراسة، فتعلّم أن لا يعصى عليه شيء من طهي، وتنظيف، وغسل ثيابٍ وكثيها، وما إلى ذلك من الأمور البيئية.

توجّه محمد إلى الجزار، وطال غيابه، وبعد أن تلوّث أمعاء الجائعين، عاد يحمل اللحم. أخبرهم أنّ في قانون الجزارين لا يحصل الزبون على اللحم من الجزء الذي يريده كما في لبنان، بل

عليه أن ينتظر حتى يبيع اللحم ويصل إلى الجزء الذي يريده الزبون. وعلى أي حال، فقد كان الانتظار في محله؛ أكلوا أكلاً مضاعفاً.

وجاء دور الشيخ مالك، وكان كصديقه الشيخ حسن، أما الشيخ أنيس فقد ذهب بنفسه لإحضار الطعام، وكان في ذلك راحة لمحمد، فانتظر محمد مع رفاقه، ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى عاد يحمل بيده سطلاً من اللبن، ويلقي على كتفه حبلًا من التين. بدأ بإعداد المائدة، ودعاهم، فجلسوا وهم في جوع وذهول.

- ما بكم؟ قال مستهجنًا، هذا إدام الأنبياء!

- هذا معناه أن لا نعتمد عليكم مجددًا! قال الشيخ عبيد، ومنذ ذلك اليوم صار يتناوب مع الشيخ محمد على الطبخ، وغالبًا ما تكون مهمة شراء الحاجيات على عاتق الأخير من دون أن يتذمّر يومًا.

أكثر الأحاديث انسجامًا داخل هذه الغرفة، تلك التي كانت تدور بين الشيخين أنيس ومحمد، حول خطابات الإمام الخميني وشخصيته. ويبدو للمستمع إليهما دقتهما في متابعة الموضوعات التي تطرّق إليها الإمام، فيستحضران محتواها كما لو أنّهما حفظاها عن ظهر قلب، وإن كان الشيخ أنيس أكثر براعة في الخطاب، فهو كان منبريًا، يشارك في النشاطات الكشفية والاحتفالات، منذ أن كان صغيرًا في مخيم تل الزعتر، وهو أيضًا، بالإضافة إلى دراسته الحوزية، ومباحثاته مع الرفاق التي صقلت خطابه، كان مذيّع أخبار باللغة العربية في إذاعة عبادان. ولولا أنه في المرة الأخيرة طُرد من

الإذاعة، وجاء يخبر الرفاق أنه تلعثم أكثر من مرة، فارتجل موعظة مباشرة للمستمعين، ونصحهم بعدم شرب الشاي ثقيلًا كما فعل، لولا هذه الحادثة لكان الشيخ محمد أكثر إصغاءً له، ولكنه، كلما تسلّم دقّة الحديث، قاطعه الشيخ محمد: «يبدو أنك أكثرت من شرب الشاي! هل أكمل عنك؟».

مرّتين فقط، عجز محمد عن أن يتحدّث عن الإمام، ولم يكن لاستحضار الخطاب من دخل في عجزه، في المرّتين اللتين وُقِّقَ فيهما لزيارته، وتشرفّ برؤية وجهه المهيب عن قرب، أراد أن يصف شعوره، فاكتفى ببكاءٍ شديد. ومرّات كثيرة سعى الشيخ أنيس للقاء الإمام، إحداها عندما مكث أمام منزله تحت المطر، فأدخله عناصر حرس الإمام لبييت معهم حتى الصباح، حينها عرف الإمام بالأمر فطلبه إليه، وعندما رآه وجلس أمامه اكتفى ببكاءٍ شديد.

سريعًا، بدأ غياب محمد في الغرفة يُلاحظ لصالح الالتصاق بحرم المعصومة معظم الوقت. فهو، بالإضافة إلى دراسته الدينية، ومواظبته على إقامة صلاة الجماعة في الحرم خلف المرجع الديني آية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، كان يقضي وقتًا داخل الحرم يستمع إلى صوتٍ كان يتردّد يوميًا. لم يكن ليمرّ يومٌ واحد من دون أن تستقبل السيدة المعصومة جنّامين الشهداء العائدين من جبهات القتال، ثلاثة، أربعة، عشرة، يدخلون يوميًا على محامل خشبية خضراء، على أكتاف المجاهدين، ونداؤهم يخترق المكان، فيما الجموع تصطفُّ على الجانبين وتردّد خلفهم:

عزاء عزاء هذا اليوم... اليوم يوم عزاء
الخميني محطّم الأضنام، هو صاحب العزاء اليوم.
ويعلو صوت الشيخ محمد ويردّد بجرأة وحماس:
عزا عزاست امروز... روز عزاست امروز
خميني بت شكن صاحب عزاست امروز.

وبعد أن يُصلّى عليهم في الحرم، ويُقام مجلس عزاء، يُشيع
الشهداء إلى بلداتهم أو إلى مقبرة الشهداء قرب الحرم. وكما كانت
السيدة المعصومة تستقبل الشهداء، كانت أيضاً تودّع المجاهدين إلى
جبهات القتال، في مراسم أشبه بالعرض العسكري. وجوهٌ غضة،
وأخرى ناضجة، تودّع أمًّا أو أبًّا أو زوجةً أو ولدًا، ثم يغادر هؤلاء
وهم يهتفون للإمام الخميني أن:

إمامي إمامي روحي لك الفدا
أعطني الأمر كي أغتسل غسل الشهادة
وينادي محمد معهم ويهتف بملء حنجرتهم:
إماما إماما جانم فدايت
فرمان بده تا بكم غسل شهادت

ومشاركة الشيخ محمد في توديع المجاهدين أو استقبالهم شهداء، لم تكن مجرد تبين لموقف من الحرب الشرسة، التي شنها صدام حسين على إيران في الثاني والعشرين من شهر أيلول عام 1980، بل هو أيضاً موقف من الحرب الداخلية التي أعقبت الثورة الإسلامية لإخمادها، موقف من حركة منافقي خلق، التي كانت تصفي من كان لهم دور فاعل في انتصار الثورة الإسلاميّة، ويؤيدون حركة الإمام الخميني، ويؤكّدون على الحفاظ على نتائج الثورة، من علماء ثوريين، وأئمة الجمعة، والعامة من الناس.

فبعد اغتيال الشهيد مرتضى مطهري، توالت عمليات الاغتيال التي نفّذتها حركة منافقي خلق؛ اغتيل شهيد المحراب الثاني آية الله أسد الله المدني، إمام جمعة مدينة تبريز، وهذا كان نصير الإمام الخميني في الكشف عن الوجه الكريه للنظام البهلوي قبل الثورة، وعن طبيعة الليبراليين والمنافقين، وكذا في مواجهتهم بعد الثورة، وكان مشاركاً في الحرب المفروضة، يذهب إلى جبهات القتال، ويشترك المجاهدين في أدعيتهم، وفي مجالسهم، ليحتّم على مواصلة الدفاع عن إيران.

ثم جاء اغتيال السيد محمد بهشتي في مقرّ الحزب الجمهوري في طهران، أثناء انعقاد اجتماع قادة الحزب، وأدّى إلى مقتل نحو اثنين وسبعين من أعضاء وقادة الثورة. والسيد بهشتي كان يعدّ أقوى الشخصيات بعد الإمام الخميني، لدوره في الثورة وما بعدها. ونجا في هذا التفجير السيد علي الخامنئي، فقد كان في المستشفى بسبب إصابته لدى محاولة اغتيال فاشلة.

وتبع عملية التفجير هذه بعد أشهر، اغتيال الرئيس محمد علي رجائي ورئيس الوزراء محمد جواد باهنر، ونجحت حركة منافقي خلق باغتيال «عطاء الله أشرفي أصفهاني» وهو في محراب صلاة الجمعة في مدينة كرمنشاه، بعد محاولتين فاشلتين. ثم آية الله السيد عبد الحسين دستغيب وهو في طريقه إلى صلاة الجمعة، ثم السيد محمد القاضي الطباطبائي، الذي عُذَّتْ شهادته خسارة كبيرة بعد اغتيال الشهيد مطهري والسيد محمد باقر الصدر لما كان يحمله من فكر وعلوم.

ذات يوم من أيام تردده إلى الحرم، لاحظ الشيخ محمد أن صبيًا يدخل إلى المقام، ويمكث فيه وقتًا لا بأس به، من دون أي فعل، ثم يغادر، اللهم إلا حين يرى الناس اجتمعوا حول جثامين شهداء أدخلوا الحرم، فيقف بينهم، ينظر إلى أسمائهم، ثم لا يلبث أن يغادر. وصار يراه على هذه الحال كل يوم، فأثار الأمر فضوله؛ اقترب منه، وصار يحدثه، ويسأله عن دراسته، وهوآياته، وعمل والده، وكان الصبي يجيب بطلاقة، إلا السؤال الأخير، جاء مقتضبا، متلكنًا، ممتزجًا بغصة:

- فقد والدي في الحرب، وأنا آتي إلى هنا للبحث عنه بين أسماء الشهداء، لا يمكن لوالدي أن تأتي، فبيتنا بعيد جدًا، وإخوتي صغار.

- سررت بك رجلًا في غياب أبيك، هل تقبل بي صديقًا إلى حين يعود؟ قال وهو يمسح على شعره، وُيربت على كتفه.

وصارت اللقاءات بالصديق الصغير دائمة، وكلما دخل الحرم نعش جديد، اقترب الشيخ محمد يبحث مع صديقه عن اسم أبيه.

وذات يوم، مرَّ أحد رفاق الشيخ محمد فوجده يجرّ دراجة، فضحك مماًزحاً:

- نعرف أن بُنيتك صغيرة، لكن ليس للحدّ الذي تشتري دراجة صغاراً!

- هي لابن شهيد، انتظر لترى دراجتي الجديدة بعد أيام.

بعد مدّة، لم يبقَ في الغرفة من سُبحة الرفاق سوى الشيخ محمد والشيخ مالك، فقد تزوّج الشيخ أنيس واستقلَّ في سكنه، وكذا فعل الشيخ حسن، واستأجر الشيخ عبد الكريم منزلاً في منطقة «جهار ماردون»، وسلّم المفاتيح إلى رفيقيه ليسكنوا فيه ريثما يعود من لبنان بعد أشهر، فيسكن فيه مع زوجته.

في هذه الأثناء، انضمَّ السيد هاشم صفي الدين إلى الإخوة في السكن الجديد، وكان قد رأى الشيخ محمد قبل سفره إلى طهران عندما كان يرتّب أمور سفره ليتعلم الطب، فوجده طالب علوم دينية، ووجد أنّ مظهره صار أقرب إلى الإيرانيين بعد أن كان شاباً ذا مظهر مختلف. وقبل السيد هاشم، قدم ابن عمه السيد يوسف، وكان قد التقى بالشيخ محمد في الطائرة أثناء عودته من زيارة قصيرة لأهله، وتحدّثا عن الأوضاع في إيران، وعمليات الاغتيال المتلاحقة، وكانت مناسبة عودتهما ذكرى أربعين الشهيد بهشتي، فشاركوا في الاحتفال في طهران، ثم انضم الشيخ علي دعموش والشيخ نبيل قاووق إلى المجموعة، التي سرعان ما تألفت مع الشيخ محمد واتفقت على انطباع واحد عنه: هو، فضلاً عن مأكولاته الطيبة، صاحب الهمة العالية والنشاط، يصرف وقتاً كبيراً في سبيل

خدمة رفاقه والاهتمام بأوضاعهم من مختلف النواحي، كأمين سكن، أو أثاث، وغيرهما من الحاجيات التي يجول بدراجه الهوائية لتأمينها.

وحدث أن ابتلي صديقه الشيخ علي دعموش بمرض عرّض حالته الصحية للخطر، فاصطحبه الشيخ محمد إلى أحد الأطباء في طهران لتشخيص حالته، ثم ذهب به إلى كبار الأطباء المختصين، فتقرّر إدخاله المستشفى لتلقّي العلاج، واستمرّ علاجه ثلاثة أشهر، كان خلالها الشيخ محمد أكثر الأصدقاء زيارةً له واهتمامًا به.

كذلك أصيب صديقه الشيخ حسن عز الدين بعارضٍ صحيٍّ مفاجئ، وساءت حالته، وكان الشيخ محمد دائم التردد إلى بيته، فعلم بحاله، وصار يراجع الأطباء في قم وطهران، لينتخب له أمرهم. بدأ العلاج، وكان لزامًا على الشيخ حسن تلقّي الإبر للعلاج باستمرار، لكن، لم يكن بمقدوره مغادرة الفراش، فأحضر له الشيخ محمد ممرّضًا إلى حين شُفي تمامًا.

وكان قد اقترب موعد زواج أحد رفاقه، ولم يتمكن من تأمين بيتٍ للسكن، حتى اليوم الذي سبق موعد زواجه، فعلم الشيخ محمد بالأمر، وكان قد استقلّ في سكنه، فذهب إليه معاتبًا: «هاك مفتاح بيتي، شيخ نبيل، ماذا تنتظر لتخبرني؟!».

لم يقتصر اهتمام الشيخ على رفاقه فقط، فهو حرص على مساعدة الكثير من اللبنانيين الذين جاءوا إلى إيران طلبًا للعلم، ولم يكونوا يجيدون اللغة الفارسية، أو يعرفون المناطق لبيحثوا عن منازل للسكن، فكان يستقبلهم في المطار، ثم يبدأ تجواله كل

يوم حتى يؤمّن لهم السكن والأثاث. الشيخ نجيب صالح، من بين هؤلاء، جاء إلى قم، وبدأ يدرس علم النحو على الشيخ محمد في حرم المعصومة، وعلم منه، بعد استفسارٍ عن أحواله، أنه يسكن مع عروسه في بيت أحد أصدقائه منذ نصف شهرٍ تقريبًا، لأنه لم يتمكّن من إيجاد منزل، فدعاه إلى منزله، واستضافه في السرداب، لأنه أكثر برودةً من بقية الغرف، في ظل الحر الشديد. وصار يطلّ عليه كلّ صباح، يحمل بيده صحن تمرٍ محشوّ باللوز، ثم يأتيه بالفطور، ويغادر، فيتابع دراسته الحوزويّة والتبليغ، بعد ذلك، يبدأ تجواله للبحث عن منزل، وهكذا حتى استطاع تأمين سكنٍ له.

وبعد مدّةٍ قصيرةٍ من وجوده في قم، أصبح الشيخ محمد صلة وصل، أيّ وافدٍ لبنانيٍّ إلى إيران يسأل عنه، أو يرسلونه إليه. من بين هؤلاء، قصده مرّةً شابٌ لبناني، عرّف عن نفسه، اسمه الشيخ نعيم قاسم، وهو مدير عام جمعية التعليم الديني الإسلامي، جاء إلى إيران لتأمين مصادر تمويلٍ للجمعية، منتظمة ودائمة، ذلك أنّ رواتب معلمي التعليم الديني لم تكن متوفّرة في لبنان على الصعيدين الرسمي والخاص. وأخبر الشيخ نعيم الشيخ محمد أنّ الإخوة اللبنانيين الذين قصدهم ليرشدوه إلى علماء ومراجع يساعدوه، أجمعوا على القول: «الشخص الوحيد الذي يمكنه مساعدتك لهذه الغاية هو الشيخ محمد رملاي». وصدقوا في قولهم، فقد أبدى استعداداه لمساعدته، وهكذا كان، راح، في أيام عطلته، يأخذ مواعيد من العلماء في قم وأصفهان وطهران ومشهد، على الرغم من عدم معرفته الشخصية بهم، يريد البحث عن يرشده إلى أئمة جمعة، أو مسؤولي حوزات علمية. بعد ذلك،

ترافقا معًا إلى هذه المناطق لأيام متواصلة، وجرى عرض المشروع الرسالي، والاتفاق على أن يكون الشيخ محمد صلة الوصل بين من يستطيع توفير المال والشيخ نعيم، ليرسلها إليه في لبنان.

في وقتٍ قصير، أُتيح للمجموعة أن تنتقل إلى حوزة الرسول الأكرم (ص)، في شارع «الشاه إبراهيم». كانت الحوزة سواقًا في زمن «الشاه بهلوي»، وهي، بطوابقها الأربعة، ذات شرفات زجاجية، تعكس حرارةً شديدة في الصيف، ولذا، غطّاها الطلبة بشراشف، أو ألصقوا الجرائد عليها. والحوزة لم تكن مخصصة للطلاب الأجانب، لكنّ توصيةً حملها الشيخ نبيل قاووق إلى الشيخ مُتقي في مكتب التبليغ الإسلامي داخل الحوزة، جعلت الشيخ محمد والسيد هاشم صفي الدين والشيخ نبيل ينتقلون إليها، ثم لحق بهم الشيخ مالك وهبي والسيد يوسف صفي الدين والشيخ علي دعموش، وتوزّعوا داخل الغرف والطوابق، على أن يكون كل واحد منهم مع آخر إيراني، بهدف أن تتحسن لغة الطرفين.

وما أسرع اندماج الشيخ محمد ببرنامج الحوزة، الذي كان يعتمد على البناء الروحي والثوري للطلبة، بالإضافة إلى دراسة المواد. ففي كل ليلة جمعة يذهب الطلبة الإيرانيون إلى حسينية «الإمام الرضا (ع)»، لحضور درس الأخلاق الذي يعطيه الشيخ المظاهري بطلبٍ من الإمام الخميني.

واقترح الشيخ محمد على السيد هاشم أن يرافقه لحضور الدرس، فأجابهُ أنّه لن يكون بإمكانه فهم الدرس قبل أن يتقن اللغة الفارسية، فقال الشيخ: «لا عليك، فلتأتِ معي».

داخل الحسينية، وعلى مدى أسابيع متتالية، كان الشيخ محمد يهمس في أذن السيد هاشم ويترجم له الدرس، ثم لاحقًا، صار السيد يومئ له أنه فهم الكلام ولا يحتاج إلى ترجمة. ينتهي الدرس بمجلس عزاء أو رواية تتناسب مع موضوع الدرس، ثم يتبع الحديث نصيحة، أولها: لزوم المواظبة على زيارة مقام السيدة المعصومة، وثانيها أن: تريد الدنيا؟ تريد الآخرة؟ عليك بصلاة الليل. ومن درس الشيخ مظاهري، أخذ الشيخ محمد يتنقل بحثًا عن علماء في الأخلاق، من الذين يحملون فكر الإمام الخميني، ويدعو إلى حضور دروسهم وسماع مجالس العزاء عندهم. درس عند الشيخ المشكيني، والشيخ محمد تقي بهجت، والشيخ بهاء الدين، وآية الله الشيخ وحيد، وآية الله جوادي آملی، والشيخ نوراني، وغيرهم من العلماء. حتى إن رفاق الشيخ كانوا يعجبون منه كيف يتمكن من الوصول إليهم.

في أحد أيام الجمعة، اقترح الشيخ محمد على أصدقائه أن يرافقوه إلى أحد جبال قم، لقراءة دعاء الندبة والتوسل بصاحب العصر والزمان، وكان هذا من مصاديق الاستجابة لتلك الدروس، فقد اشتهر عن بعض علماء الأخلاق قراءتهم الدعاء في الجبال.

دجج الرفاق أنفسهم بالمعاطف، وذهبوا مع الشيخ. وهناك، كانوا كلما صعدوا، شعروا أن الصقيع سوف يقصّ ظهورهم عمًا قريب، وأنهم وشيكًا سيفقدون القدرة على الحركة.

وصلوا، افترشوا الثلج، وبدأ الدعاء. لم يجدوا في أنسه غرابةً، فقد اعتادوا عليه: لا يأبه لحرٍّ أو برد، وتشهد له ليالي الأربعاء في «مسجد جمكران»، أنه ما قطع دعاءه مرّة، وكان ينتشر مع الناس وطلّاب العلم في الصحراء، ويتوسّل بالإمام المهدي (عج) حتّى وقتٍ متأخّرٍ من الليل.

في إحدى المرّات التي رافقه فيها السيد هاشم إلى جمكران، وقد أتّمّا الزيارة والدعاء، انتظرا وقتاً طويلاً حتّى تمرّ سيارة أجرةٍ تقلّهما إلى الحوزة، لكنّ الوقت تخطّى الثانية بعد منتصف الليل، وكاد البرد يجمّدهما، لولا أن أشفق عليهما شرطيّ فأقلّهما على درّاجته.

داخل الحوزة، وقبل أذان الفجر بساعة، كان ينبعث ضوءٌ خافت من غرفة الشيخ محمد وأضواء متفرّقة في بقية الغرف. يخطو نحو المصلّى، هناك، حيث الضجيج ببكاء المصلّين في الليل ودعائهم، يصلي معهم، ويسجد، ويطيل السجود، هكذا حتى الصباح.

وإلى جانب كلّ هذا، كان الشيخ محمد، منذ أن دخل الحوزة، يطرق باباً مغلقاً ليكتمل برنامجه، وهذا الباب كان فتحه صعباً للأجانب، ولا تُنال الموافقة على الدخول منه بسهولة. لكنّه، وبفضل علاقته برفاقه الإيرانيين داخل الحوزة، ومعظمهم من الحرس الثوري، حصل على موافقة؛ بات بإمكانه المشاركة مع المجاهدين على جبهات القتال الإيرانية.



سباق مع القطار

المحطة السادسة

من قم | إلى خوزستان

الوصول

الساعة

١٩٨١-١٩٨٢

سباق مع القطار | من قم | إلى خوزستان
المحطة السادسة

الوصول

الساعة

١٩٨١-١٩٨٢



مشتي رضا

استشهد مشتى رضا

يا زهرا

يا صاحب الزمان

فجأةً، وفي الليلة التي وصل الشيخ محمد ورفاقه الثلاثة إلى معسكر «شوش»، عصفت الصحراء بقصفٍ هستيريٍّ عنيفٍ.

على الفور، انتشر المجاهدون، ورمّوا بأنفسهم داخل خنادق أعدّوها على شكل غرفٍ كبيرة، جرى تدعيمها بألواحٍ خشبيةٍ من تلك التي تستخدم في بناء سكك القطارات.

طوال ساعات الليل، كانت الخنادق ترتجُّ وتموجُ من القذائف المدفعية التي صبّها الجيش الصّدّامي على المعسكر من دون توقّف، في استماتةٍ منه لإحباط عملية «الفتح المبين»، التي استعدّ لها المجاهدون من فيلق الحرس الثوري والجيش وقوّات التعبئة (بسيج)، لاستعادة مدن: شوش، أنديمشك، دهلران، دزفول وقاعدتها العسكرية، بالإضافة إلى عشرات القرى التي احتلّها صدام حسين في بداية حربه على إيران.

وعلى أيّ حال، لم يكن القصف مُفاجئًا، فمعسكر شوش أحد خطوط المواجهات المتقدّمة، وقد نالهم من القصف في المواقع الخلفيّة، قبل وصولهم إليه، ما جعلهم يتصوِّرون ما ينتظرهم كلّما تقدّموا أكثر.

جاءت هذه العملية بدعوةٍ من الإمام الخميني، بعد أن تمكّن المجاهدون من استعادة مناطق لهم في عملية «طريق القدس»، التي نُفّذت في التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني 1981م، وعلى أثر هذه الدعوة، أخذ المجاهدون يلتحقون بالجهات تباغًا بأعدادٍ كبيرة. وأراد الشيخ محمد ورفاقه أن يستجيبوا لدعوة الإمام، فكتبوا رسالةً إليه، يسألونه إن كانت المشاركة تشمل طلاب العلم الحوزويين، ولكنهم، لما رأوا أنّ عددًا لا بأس به من طلاب الحوزة غادروا إلى الجبهة، والحوزة تحت إشراف ممثّلين عن الإمام، قرروا الذهاب قبل أن يحصلوا على الموافقة.

انطلقوا إلى معسكر الأهواز في خوزستان جنوب غرب إيران. وأثناء الطريق، أكّدوا غير مرة على البقاء معًا، وعدم السماح لأيّ منهم بأن يدع الآخر يقع في الأسر، ولكنّ المفاجأة كانت عندما وصلوا وجدوا، أن قوافل المجاهدين قد غادرت جميعها.

أصروا على الالتحاق بهم، فأرسلوهم إلى مقرّ لواء «خرّم آباد» في مدينة «ماهشهر». هناك، استقبلهم أحد القادة، وكان عازمًا على الذهاب إلى مدينة «دزفول»، فاصطحبهم في سيارته «البيكان» بعد



أن تناولوا معه الغداء، وطلب إليهم أن ينتقوا الملابس والأحذية العسكرية المناسبة لقياساتهم.

وكانوا كلما قطعوا مسافةً رأوا مجموعات المجاهدين على الطريق، وفي الباصات، تمرُّ أمام أعينهم، وكلَّما تقدّمت السيارة نحو المعسكر، أخذت ملامح المكان تختفي رويدًا رويدًا، وتنسلُّ العتمة أكثر فأكثر، حتى إذا ما انحرفت السيارة في أحد المفاقر الترابية، ودخلت في الصحراء، صار المكان مدىً واسعًا من الظلام.

بعد وقت، توقّف القائد عن الكلام، وأبطأ سيره. أخرج رأسه من النافذة، وأخذ يتأمّل في العتمة مليًا. رجع قليلًا إلى الوراء ثم توقف، تقدّم مجددًا، وعاد يتأمّل، وهم في دهشةٍ منه، فماذا يمكن أن يجده في هذا السواد؟! وأخيرًا، أرخى يده عن المقود وأوقف السيارة.

- يبدو أننا أضعنا الطريق! قال وهو يجول بنظره.

- وكيف ذلك؟

- أين نحن الآن؟

- في العادة أرى هنا جبًّا كبيرًا من نبات البلان، وآخر أصغر منه أميّز بهما المكان.

- وكيف كنت لتلاحظ مكانهما في هذه العتمة الشديدة؟

- اعتدت الأمر. لا عليكم، قال، فيما هو يشغل السيارة من جديد.

- يبدو أننا سنذهب بأنفسنا إلى الصّداميين!

- ذاهبون بكل الأحوال إلى الشهادة. لم يكد القائد ينهي كلامه حتى شغّت الصحراء بالقنابل المضئية.
- أطفئ ضوء السيارة على الفور!
- يجب ألاّ نبقى في السيارة.
- كل المكان تحت مرمى نيرانهم!
- من أنتم؟ من أنتم؟ صرخ صوتٌ بالفارسيّة.
- ألم أقل لكم لا تقلقوا؟ تنهّد القائد: تعالوا، فلنبيث هنا الليلة، وغداً نكمل سيرنا عند الفجر.
- دخلوا متراساً يشبه النفق المظلم، قدّروا سريعاً أنّه خصّص للجرحى والمصابين، وذلك من روائح الأدوية والدماء، والأنين الذي كان يقترب كلّما أوغلوا في العتمة.
- دلّتهم شمعةٌ خافتة على الجرحى، وقد تمددوا على الأسرّة، منهم من لُقّت عينه أو يده، ومنهم من أصبح بساقٍ واحدة. يكابدون أوجاعهم بنداء أمّهم الزهراء، ومن هو أقلّ إصابةً يواسي الذي في وضعٍ حرج. بكى الشيخ محمد كثيرًا لحال هؤلاء، وبكى الرفاق، أتى لهم أن يناموا والخجل من هؤلاء ومن أنفسهم سلبهم النعاس!
- مع الفجر، توضّأوا، وصلّوا، وودّعوا اللّفافات والجراح، وتوجّهوا إلى المعركة التي رأوا صورتها في هؤلاء الجرحى.

عندما وصلوا إلى أحد معسكرات الخطوط الخلفية، بادر الشيخ حسن إلى السؤال عمّا إذا جرى حفر خنادق في المكان، فأجابوه بالنفي، وما إن سألهم عن المدى الذي بين المعسكر وصواريخ صدام، حتى أمطرت الصحراء بصلياتٍ من صواريخ الكاتيوشا.

انتشروا في الصحراء، ولم يكن لهم من وسيلة احتمالٍ سوى الانبطاح وهم ينادون يا زهراء، يا صاحب الأمر. ثمّ، بعد وقتٍ لا بأس به، هدأت الصحراء، فباشروا حفر خنادق فردية ليقوا أنفسهم القصف طيلة أسبوع مكوثهم، قبل أن يبدأ الهجوم في الثاني والعشرين من آذار 1982، متزامناً مع عيد النوروز وولادة السيدة فاطمة الزهراء (ع).

وجد الرفاق أن حفرة الشيخ محمد أكبر فمازحوه:

- أترّفه نفسك؟

- بل جعلتها حفرةً وقبراً في آن.

- والذين ربّوك، ألا تريد العودة إليهم؟

- الحوزة تربّي، الأهل يربّون، لكن المرّبي الحقيقي والسعادة الحقيقية هي الجبهة. هنا، أنت بمقدار ما تتعد عن الدنيا فإنّك تقترب من الله.

لم يتكلّف الرفاق عناء التحليل ليدركوا سرّ انسجام الشيخ محمد مع المجاهدين، فها هو يتقاسم معهم حبات الحلوى حبّاً بالسيدة فاطمة الزهراء، ويجود بأبيات شعرٍ بالفارسية عنها، ويكون لحشرجة صوته عندما يذكر اسمها، ثم يقرأ لهم الدعاء،

ويصلي معهم، وحلاوة الدعاء في الجبهة لذة أين منها كل الأماكن،
وصلاة الليل في الصحراء والضجيج بالبكاء أين منها صلاة المدينة.

وبكاء الليل يقابله نهائراً ابتساماً في خيمة المطبخ لمنافسةٍ
مع «رضا»، الرجل الستيني الذي لا يجيد استخدام السلاح،
وقدم إلى الجبهة ليعلم المجاهدين، ويُعدّ لهم الطعام، فيطعمه
الشيخ محمد بيديه، ويسبقه إلى تقديم الأرز المطهو للمجاهدين،
وهو أقرب إلى اليباس، وإلى جانبه لبنٌ يبلله، وفيه من فقاعات
الحموضة ما يجعل المجاهدين يفضّلون الأرز من دونه. وابتساماً
أخرى لطرفةٍ أثناء قصف يبدأ فجأةً، فيدخل الجميع خنادقهم،
ويلقي السيد هاشم بنفسه في حفرة الشيخ محمد، فيصرخ الأخير:
« إن لم أُقتل بالقصف، ستقتلني أنت! ». وابتساماً لقربةٍ فيها من
الماء القليل ما جعلهم في حيرةٍ أيشربونه أو يستخدمونه للوضوء.
وابتساماً كانوا ينتظرون رؤيتها على وجه «علي أمجدي»، قائد كتيبة
خرمشهر، فإضحاه يحتاج إلى معاملة، على الرغم من أنه حنونٌ
جداً، وأكثر ما يوزّع حنانه على «رضا»، حتى يُخَيِّل لمن لا يعرفه
أنّه صديقه، يزاحمه في إعداد الطعام للمجاهدين في خيمة المطبخ،
ويطعمه بيديه، لكنّ الأمر لم يطل كثيراً حتى جاد عليهم بضحكةٍ
عريضةٍ، فعندما أبلغ بقرار الهجوم، جاء يبشّرهم ودموع الفرح
تفيض من عينيه:

هيا إلى ديار العشق نذهب إلى جوار الله

وارتفع صوت الشيخ محمد بين المجاهدين:
سُوِي ديار عاشقان رو به خدا ميرويم

توزّع المجاهدون إلى جبهات القتال، وتغيّرت وجهة الشيخ محمد ورفاقه من منطقة «دزفول» إلى منطقة «شوش»، وهذه المنطقة غاية في الأهمية عند الجيش الصّدامي، واستعادتها تعدُّ هزيمة كبيرة له، فهو تقدّم في المنطقة الواقعة على بعد عدة كيلومترات غربها، وقطع الطرق المؤدية إلى جبهتي الأهواز ودزفول، بما فيها سكة حديد أنديمشك - الأهواز، وجعل مواقعه على المرتفعات المشرفة، فأصبحت المنطقة كلها تحت مرمى نيران دباباته ومدافعه بنحو متواصل، وكانت عرضة للغارات الجوّية المستمرة، وقد غادرها سكانها، وتحوّلت إلى منطقة عسكرية.

قبل الانطلاق إلى «شوش»، توقفت في المعسكر شاحنات تغطّ بالذخائر، وكان يحقّ للمجاهد أن يحمل من السلاح والذخائر ما تسعفه بنيته على حمله، في الوقت الذي يكرّر القائد على مسامع الجميع ألا ينسوا القنابل، لاستخدامها في حال وقعوا في الأسر. ودجّج أحد أصدقاء الشيخ محمد نفسه بالسلاح والقنابل بما فاق قدرته على المشي، حتى إذا ما سار مسافةً، عادت إليه آلام ظهره المبرحة فأبطأ سيره. وكالعادة، ها هم الرفاق يخفون عن أنفسهم ببعض اللطائف:

- هلاً ناولتني قربة الماء لأخفّف عنك!
- سلاح رفيقنا هذا يحزّر الجبهة وحده!
- ما أكثر غنيمة البعثيين لو وقع في الأسر!

في المساء، ولدى وصولهم إلى معسكر شوش، عصفت الصحراء بقصفٍ صداميٍّ هستيري، جعلهم يلتجئون على الفور إلى الخنادق المجهزة، ويمكنون فيها حتى توقف القصف عند الفجر، فخرجوا ووجدوا أنّ «رضا» استشهد بباب الخندق قبل أن يلجئه. أصابته شظايا القذائف التي استهدفت سيارة البيكان بالقرب منه، فنادوه «مشتي»، وهو لقبٌ لمن تشرفّ بزيارة الإمام الرضا عليه السلام.

بسم الله الرحمن الرحيم... يا زهرا.

بسم الله الرحمن الرحيم... يا زهرا.

مع ساعات الصباح الأولى، وعند الثامنة والنصف تمامًا، أُطلق نداء الهجوم من غرفة العمليات، وانطلق الشيخ محمد والمجاهدون في باصاتٍ غُطّيت واجهاتها الأمامية بالرمال، نحو مراكز «الرادار»، وموقعي «٤» و«٥»، وحامية «عين خوش» و«دشت عباس». في حين ورّعت القيادة قواتها من ألويةٍ وكتائبٍ من معسكرَي «النصر» و«الفجر»، وقاعدتي «القدس» و«فتح»، على مساحة منطقة العمليات التي تُقدّر بنحو ثلاثة آلاف كيلو مترٍ مربع.

سبق هذه الباصات مجموعاتٌ متقدّمة من لواء «27 رسول الله»، ولواء «58 سيد ذو الفقار»، وكتائبٍ من بينها كتائب فوج السيد الجزائري، الذي عُرفَ ببسالة مقاتليه، وهؤلاء كانوا يُطلبون للعمليات الصعبة والمعقدة. كان عليهم أن يُخرجوا منطقة «عين خوش» أولًا من الحصار، ثمّ «دشت عباس»، وبعد ذلك تأتي

مرحلة الهجوم على موقع الرادار والمراكز المحيطة به. وهذا الموقع هو أعلى نقطة في شوش وغرب دزفول، ترتفع قمته أكثر من مئة مترٍ عن مستوى المنطقة كلها، ويرصد الجيش الصّدامي تحرّكات المجاهدين ويقصفهم منه.

بادئ الأمر، اصطدم فوج السيد الجزائري بكمينٍ للجنود البعثيين في «عين خوش» على بُعد ستة أمتار، واضطرَّ إلى التراجع والانسحاب إلى الخلف بعد إصابة قائده «ناصر»، واستحال على السيد «حسين سيد نور» و«حميد رمضاني»، مسؤولي الاستطلاع اللذين أوكل إليهما «ناصر» مهمة تقدّم المجاهدين، أن يبقوا في المكان فترجعوا، ثم أعادوا كرتة الهجوم، وكان السيد «حسين سيد نور» في الهجوم الأول، كلما تعرضت مجموعته للقصف ينادي: «يا أبا صالح المهدي، يا فارس الحجاز أدركني!»، تعلّم النداء من مجاهدٍ اسمه «صادق أهنكران»، الذي أخذَ قرارًا بعدم مشاركته في القتال، إذ إنّ نداءاته في الجبهة كانت تشجّع ألف مقاتلٍ على التقدّم، وبشهادته تخسر الجبهة هذه الطاقة.

دارت اشتباكات عنيفة أدّت إلى انكفاء البعثيين من «عين خوش» بعد يومين من القتال. اقتحم المجاهدون بعد ذلك «دشت عباس»، فأخذت مواقع البعثيين تنهاوى الواحدة تلو الأخرى، ثم، بعد سقوط موقع الرادار، لم يبقَ للجنود الصداميين قدرة على البقاء، فانسحبوا إلى المواقع الخلفية، وانتهت العملية في الثامن والعشرين من آذار، وتمكّن أصحاب الأرض من تحرير ألفين وخمس مئة كيلومترٍ مربعٍ من محافظة خوزستان، بالإضافة إلى أسر الآلاف

من جنود الجيش الصّدّامي، وغنم كُتب ووثائق عسكريّة، نُقلت إلى مركز «الغولف»، الذي اتّخذته الحرس الثوري مقرّاً له بعد أن كان مكاناً للحفلات والسهرات غير المشروعة في زمن الشاه. وبدأت مرحلة جديدة للشيخ محمد، في التحقيق مع الأسرى وترجمة الكُتب والوثائق، مع صديقه السيد حسين سيد نور.

لم تكن عملية الفتح المبين، أو ما أُطلق عليها اسم «فتح الفتوح» هي العملية الأولى التي شارك فيها الشيخ محمد، فقد سبق أن كان له دورٌ لافت في عملية «طريق القدس»، التي هدفت إلى تحرير سبعين قرية يرزح سكانها تحت نيران مدفعية القوات الصّدّامية المتمركزة بينها على المرتفعات. وهذا الهدف يتحقق بإغلاق معبر «جذابة» الحدودي، الذي يتيح للقوات الصّدّامية العبور من شمال المنطقة إلى جنوبها، إذ يمتد طوله أربعة كيلومترات، ويتراوح عرضه بين 1000 و 1500 متر.

تنفيذ هذه العملية يحتاج إلى استطلاعٍ دقيق، لتتمكن وحدة العمليات في قيادة الحرس الثوري من تحديد الجهة الأنسب للهجوم، ويدخل من ضمن مهام الاستطلاع التنصّت على أجهزة القوات الصّدّامية. والتنصّت يتطلب إلمامًا باللغة العربية، ولهذا، فبالإضافة إلى مجاهد لبناني اسمه «حسين شعيتو»، اختير الشيخ محمد ليكون من بين مجموعة الاستطلاع في فرقة «14 الإمام الحسين»، ضمن لواء «عاشوراء» في الحرس الثوري، الموكل إليه حماية معبر «جذابة» من أي هجوم صّدّاميّ يشنه لواء 16، تسانده ألوية أخرى.

بدأت عمليات الاستطلاع في غرب «سوسنكرد» ومنطقة «بستان»؛ الدخول إلى هذه المناطق خطرٌ جدًّا على حياة المجاهدين، فمدفعية القوات الصِّدامية الثقيلة تتركز على الهضاب الرملية المعروفة باسم «النبعة»، وتُحصن المنطقة بعنفٍ وعلى نحوٍ متواصل. وكان الشيخ محمد يدخل ورفاقه إلى هذه المنطقة، فيتنبَّصون على قوات صدام، ثم يدوّنون تقارير عما يحصلون عليه من معلومات. وعلى أحدهم أن يعود إلى مقر قيادة الحرس الثوري ليسلم التقارير أولاً بأول، وهذا الأمر تصدّى له الشيخ محمد، فكان بعد انتهاء كل تقرير، يعود إلى قيادة الحرس على دراجةٍ ناريةٍ يقودها بسرعةٍ فائقةٍ، غير أبهٍ بالفدائف المدفعية القريبة منه، أو بتعرجات الطريق التي نالها ما نالها من القصف.

وبعد عمليات استطلاعٍ متواصلة، تمكن المجاهدون من معرفة أعداد ألوية وكتائب القوات الصِّدامية، والتحصينات التي وضعتها، من جدر ألغامٍ حديديةٍ وخنادقٍ وأسلاكٍ شائكةٍ، بالإضافة إلى حقول الألغام التي زرعتها على المرتفعات، لاحتتمالها هجوم قوات الحرس الثوري الإيراني منها.

خلصت وحدة العمليات في قيادة الحرس الثوري إلى أنّ الهجوم يجب أن يكون من مضيق «جذابة» نفسه، ذلك أنّ المنطقة محاطة من الشمال بهضاب رملية، ومن الجنوب بمستنقعات مياه، مما يحول بين القوات الصِّدامية الموجودة وتعزيزاتها في الخلف. ولو سُنَّ من منطقة غرب «سوسنكرد»، فإنَّ القوات الصِّدامية سوف تتمكن من نقلٍ عدد هائلٍ من جنودها من منطقتي «دزفول» و«شوش».

والهجوم من المعبر لم يكن بالأمر السهل، لأن الوصول إليه يحتاج إلى سيرٍ في الكثبان الرملية الناعمة، وفيها تغوص القدم إلى الركبة، لذا، تقرّر أن تقوم وحدة الهندسة بتشييد ممر يبلغ طوله خمسة عشر كيلومتراً لتسهيل مرور المجاهدين.

في التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني 1981م، وبعد نصف ساعة من منتصف الليل، أُطلق نداء:

يا حسين فرمانده اي (يا حسين أنت القائد)

وبدأ الهجوم تحت المطر الغزير متزامناً مع ذكرى اغتيال آية الله مُدّرّس، أحد كبار العلماء الثوريين المناصرين للإمام الخميني، ممّن ينادون بمحاربة إسرائيل وتحرير القدس، وتمكن المجاهدون، وبينهم الشيخ محمد، من صدّ الهجوم العنيف الذي شنته مدرّعات قوات صدام، وساعدهم المطر على العبور بسهولة أكثر، بعد أن تماسكت المنطقة الرملية. ثم، بعد أن صدّوا الهجوم، التّفّوا من الخلف على الخطوط الاحتياطية الأولى والثانية، بدبابات عراقية غنموها من معارك سابقة، ظنت قوات صدام للوهلة الأولى أنها تتبع لها، لولا أن خيّبت قذائفها ظنهم. هذه الخطوة مكّنت المجاهدين من السيطرة على مقر اللواء 16 والحصول على الوثائق الموجودة فيه. ومن هنا، بدأت خطوة الشيخ محمد في ترجمة الوثائق، وتدوين تقارير حولها باللغة الفارسية، وإرسالها إلى قيادة الحرس الثوري.

بعد عمليتي «طريق القدس» و«الفتح المبين»، صار غياب الشيخ محمد عن الحوزة يزداد لصالح حضوره القويّ في جبهات

القتال. حتى إنّ بعض رفاقه أخذوا يسألون إن كان محمد لا يزال طالب علم! ذلك أنّ من شروط طلبة العلم المواظبة على حضور الدروس، بيد أنه، منذ أن دعا الإمام الخميني إلى عدم التأخّر عن الجبهة وقال: «غداً متأخّر»، أصبح الشيخ محمد على تماسٍ دائم مع الجبهات، وهي تعيش أصعب أيامها، وتواجه شتّى فنون الإجرام الصّدامي، من قصفٍ جويٍّ وبرّيٍّ، وألغامٍ أمر صدام بزرعها في مساحاتٍ كبيرة من الأراضي التي احتلها، إلى استخدام السلاح الكيميائي، الذي أودى بحياة أعدادٍ كبيرة من الحرس الثوري، وقوات التعبئة، والعراقيين من «لواء بدر»، الذي أصبح للشيخ محمد سهم جهادٍ فيه، نتيجة تردّده الدائم على المعسكر في الأهواز للتبليغ، وصار على علاقة وطيدة بالفائد العراقي الحاج مهدي عمر مهدي (أبو زينب الخالصي)، وهو تلميذ الشهيد السيد محمد باقر الصدر، وصاحب الارتباط الوثيق بالقياديين في الحرس الثوري، منذ بداية الحرب المفروضة على إيران.

لم يمضِ وقتٌ طويلٌ على عملية الفتح المبين وعودة الشيخ محمد إلى الحوزة، حتى وُصّب أغراضه من جديد، وتوجّه إلى مقر الجبّة في قاعدة القدس، وبدأت التحضيرات لتحرير مدينة «خرمشهر»، أو مدينة الدم. هذه المدينة احتلها صدام حسين مع بداية الحرب المفروضة على إيران، واستشهد عشرات الآلاف من سكانها بالغارات الجوية التي أحالت سماءها دخاناً وأرضها ركاماً.

من قاعدة القدس، ولأسبوعين متواصلين، كان الشيخ محمد ورفاقه الطلبة: الشيخ عبد الرضا دعاغلي وصادق كرمشاهي والسيد

حميد نور، بالإضافة إلى بقية المجاهدين، ينطلقون سرّاً إلى أقرب نقطة من مدينة خرمشهر، ويستطلعون المكان، يشرف عليهم مسؤول الاستطلاع حميد رضاني، وقائد اللواء سعيد تجويدي. وتبين لهم أنّ قوات صدام، ونتيجة لأهمية خرمشهر الاستراتيجية، وكونها بوابة لمحافظة خوزستان، طوّقت المدينة بقنواتٍ زرعتها بالألغام، ورصفتها بأسلاكٍ شائكة متصلة بأعمدة الكهرباء، مما شكّل عقبة أمام معرفة المعلومات اللازمة، ولهذا، لجأت قيادة الحرس الثوري إلى الاستعانة بطائراتها لتصوير المدينة من الجو.

بعد ذلك، عاد الشيخ محمد إلى الحوزة، وسرّاً برسالةٍ وصلته من أبيه، يوافق على طلبه المتكرّر بمجيء شقيقته ليلى إلى إيران لدراسة العلوم الدينية. وسرعان ما استقبلها في المطار، وصحبها إلى مقام السيدة فاطمة المعصومة، وهناك، علّمها آداب الدخول إلى المقام والزيارة، وأخبرها عن أنسه الدائم في حضرة المعصومة، أمّ المجاهدين والشهداء. بعد ذلك، ألحقها بمجموعة النسوة اللاتي يدرسن العلوم الدينية في منزل صديقه الشيخ حسن عز الدين، الذي جعل بيته كحوزة للنساء اللبنانيات، فتولى الشيخ مالك وهبي تدريسهنّ النحو في كتاب قطر الندى، ودرّسهنّ الشيخ حسن مادة الفقه، فيما تولى الشيخ محمد تدريسهنّ مادة الأخلاق. وفي دروسه من خلف الستارة، أكّد لهنّ ما درسه ودأب دائماً عل تطبيقه، من المواظبة على صلاة الليل، وزيارة السيدة فاطمة المعصومة ومقام الإمام الرضا (ع)، ومسجد جمكران، والمشاركة في تشييع الشهداء وزيارة قبورهم كجزء من الارتباط بسيد الشهداء الإمام الحسين (ع).

وكذلك، بيّن لهنّ أهمية الارتباط بالقرآن، وشجعهنّ على إقامة الحلقات القرآنية، والاهتمام بالدعاء، وخاصةً المناجاة الشعبانية للإمام زين العابدين (ع)، هذه المناجاة سمعتها زوج الشيخ حسن بصوت الشيخ محمد في إحدى الليالي الثلجية التي قطعت الطرقات، واضطر زوجها إلى البيت في منزل صديقه بعد أن تراكمت الثلوج: «... إلهي، هب لي كمال الانقطاع إليك، وأير أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق أبصار القلوب حُجب النور، فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلقة بعزّ قدسك...».



سباق مع القطار

المحطة السابعة

من | إلى
خوزستان | قم

الوصول -----

الساعة -----

١٩٨٦-١٩٨٢

سباق مع القطار | من | إلى
المحطة السابعة | خوزستان | قم

الوصول ----- الساعة -----

١٩٨٦-١٩٨٢

بدأت عمليات بيت المقدس في الرابع والعشرين من شهر نيسان 1982م، وحُرِّرت مدينة خرمشهر على ثلاث مراحل، تمكن المجاهدون في المرحلة الأولى من اجتياز نهر كارون، والوصول إلى طريق الأهواز- خرمشهر، ثم احتلوا الساتر الترابي الثاني لقوات صدام بعد النهر، وثبتوا المواقع التي سيطروا عليها، بعد هجمات متواصلةٍ عليهم، نجحوا في صدّها.

وفي المرحلة الثانية، انطلق المجاهدون من طريق الأهواز- خرمشهر باتجاه الحدود، ونجحوا في التموّض على بُعد سبعة عشر كيلومتراً من الشريط الحدودي، على الرغم من الهجمات المضادة الشرسة. وعندما فشلت قوات صدام في كسر صمود المجاهدين، دبّ الخلاف بين قادتهم حول جدوى المواجهة، فمالوا إلى الاستسلام. وانتهت المرحلة الثالثة من عمليات بيت المقدس بتحرير خرمشهر في الرابع والعشرين من شهر أيار 1982م، وبذلك، تكون إيران قد استعادت 5038 كيلو متراً مربّعاً من أراضيها. وفي هذه العملية، بلغ عدد الضباط والجنود الصّداميين الذين سلّموا أنفسهم نحو تسعة عشر ألف أسير، وغنم المجاهدون كمّاً هائلاً من الوثائق. وكان لا بد للشيخ محمد، بعد هذه العملية، أن يبدأ عمله في التحقيق مع الأسرى، وترجمة الوثائق في أقصر وقت ممكن، تمهيداً للعمليات اللاحقة.

جاء السيد حميد نور إلى المقر ذات صباح، فوجد صديقه الشيخ محمد يفرز الوثائق بحسب أسماء الألوية، ولكثرتها، احتاجت هذه العملية منه وقتًا أطول. بعد ذلك، اختار الوثائق الخاصة بالفرقة الثالثة للمدركات، وبدأ بقراءتها وترجمتها على مدار الساعة. ومن هذه الوثائق شرع بإعداد تقارير إلى قيادة الحرس الثوري، فيها خلاصة عن المعلومات، من كيفية تسليح الأرض، وأماكن وجود الأسلاك الشائكة والبراميل المتفجرة والعبوات، وتباعد الفواصل بين الوحدات أثناء العمليات، ومعلومات خاصة بحرب المياه، ثم أخذ يحدّد من خلال هذه المعلومات نقاط القوة، لتطويرها، ونقاط الضعف، لتحويلها إلى نقاط قوة وتفادي أكبر قدر من الخسائر في الحرب. وعندما ترك الوثائق ليرتاح، كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل.

ثم غادر المقر، ليشترك في مؤتمر المستضعفين، الذي عُقد في طهران بمناسبة الخامس عشر من شهر شعبان، بحضور عدد كبير من علماء المسلمين وقادتهم، على أن يعود إلى المقر فور انتهاء المؤتمر. وهناك، التقى بمحمود درويش، شقيق صديقه إبراهيم، وكان مقاتلاً للعدو الإسرائيلي مع الدكتور مصطفى شميران منذ مواجهات بنت جبيل 1976م، في الوقت الذي كان فيه الشيخ محمد ينصرف إلى البيع والتجوال ولا يهتم بالأحزاب السياسية، فوجده شابًا ثوريًا، يتكلم في القضايا السياسية الكبرى، وحجم المؤامرة الأمريكية على المشروع الإسلامي بعد انتصار الثورة الإسلامية، ودور المسلمين في الدفاع عن هذا المشروع. وأصبح لبنان في صلب الحديث

عندما وصل إلى جميع المشاركين في المؤتمر نبأ اجتياح إسرائيل للبنان، في السادس من حزيران 1982م، وبدأ الحديث عن خطوات المرحلة اللاحقة، فقال أحد المجاهدين الإيرانيين، من أصدقاء الشيخ، إنَّ المساحة التي احتلتها إسرائيل لا تحتاج استعادتها أكثر من يومين من المواجهات، فيما لو احتشد الجميع بوجه العدو، وقال محمود إنه سيوضَّب أغراضه ليعود إلى مجموعته القتالية ويبدأون بالقتال، وردَّ الشيخ راغب حرب على محمود بأن يتمهَّل في توضيب أغراضه، ليسمعوا رأي الإمام الخميني، ويوزوروا الإمام الرضا قبل المغادرة، فالاجتياح الإسرائيلي هذه المرة لا يشبه اجتياح عام 1978م، ولن ينتهي بيوم أو يومين. وأضاف الشيخ محمد من خبرته الجهادية، أنه، بالإضافة إلى ضرورة ووجوب مواجهة العدو الصهيوني، وتدريب الشباب على القتال، يجب تثقيف المقاتلين دينيًّا، حتى يصبح جهادهم عن قناعة وعقيدة راسخة، كما يجب توعية الناس الذين يحملون فكرًا انهزاميًّا، ويعتقدون أنَّ قتال العدو الإسرائيلي ضربٌ من الجنون، وخير دليل على القدرة على النصر هو ثورة الإمام الخميني بوجه الشاه، ويجب أن تكون أنموذجًا يقتدى به لكل الشعوب المستضعفة في العالم. هذا الحديث، كان أيضًا محور رسالة الشيخ محمد إلى إبراهيم درويش، أرسلها مع محمود، وأضاف عليها نيته قتال العدو الإسرائيلي عندما يعود إلى لبنان.

بعد الاستطلاع لتحرير خرمشهر، وقضاء ساعات من العمل المتواصل لترجمة الكتب والوثائق واستجواب الأسرى، بدأت مرحلة جديدة من الجهاد في الحرب المفروضة على إيران، هدفها المحافظة

على المناطق المحررة، وكان للشيخ محمد دورٌ فيها، وأهمها عملية «رمضان». هذه العملية، وإن لم تحقّق أهدافها كاملةً، إلاّ أنها عُدَّت إحدى أصعب العمليات في شمال شرق البصرة جنوب العراق، بدأت في الثالث عشر من حزيران 1982، واستمرت لستة أسابيع، شارك فيها نحو مئة ألفٍ من قوّات الحرس الثوري والباسيج، وبلغ تعداد المقاتلين الصّدّاميين ضعف عدد القوّات الإيرانيّة، في حين تحصّنت القوّات الصّدّاميّة في دفاعاتٍ هائلة، وأنشأت شبكةً من المخابئ ومواقع المدفعية والدبابات. وعلى الرغم من كثرة الشهداء في هذه العملية، فقد ألحق المجاهدون بعدوّهم خسائر كبيرة، وأسروا أكثر من ألف جنديٍّ، أُضيفوا إلى ملف التحقيق الذي يعمل فيه الشيخ محمد.

ثم كانت عمليات «محرّم» في شهر تشرين الثاني 1982م، لتحرير محيط الجبال الحدودية في جبل الحميرين جنوب دهلران، والمنطقة الواقعة بين فكة وعين خوش، وشارك الشيخ محمد أيضًا في الاستطلاع لها كما في العمليات السابقة. انتقل بعد ذلك من قاعدة القدس إلى قاعدة النجف في الشمال الغربي من الجبهة، مع قائده سعيد تجويدي، وظلّ في العمل الاستخباراتي سرّاً لمدة ثمانية أشهر.

ولم يرتو الشيخ محمد من عمله في الترجمة والتحقيق والاستطلاع والمواجهات، بل كان يلجّ لأجل أمرٍ آخر أيضًا، ذكره أحد المجاهدين الإيرانيين في مذكراته الجهادية، وأسمه السيد «فرج»: «محمد رملوي من جنوب لبنان، شابٌ سيماه جميلة، كان طالب طب، ثم بدأ دراسته الحوزوية في قم، وحضر إلى الجبهات بصفته

عالمًا مجاهدًا. لم يكن هذا الشاب من الذين يهدرون الوقت، بل يريد أن يستفيد من كل لحظة من لحظاته، أراد أن يصبح عضوًا في التخريب، ويتقدّم المعابر، ويفكك العبوات، وكنا نقول له: يا شيخ، أنت عالم هنا، ولا نريد أن نخسرك! مهما قلنا لم يكن ليصغي إلينا، فيجيب: لا بدّ أن نضرب المعبر. كان كالكاشف الضوئي، يسطع ويسطع، ولا يضعف مهما حاولنا. وكان يكرّر بين شباب التخريب بلهجته اللبنانية: «أنا عطشان، أنا عطشان، لا أريد جنةً لأجل شرابها، أريد رضا الله فحسب».

في مقابل هذا الصوت الذي لا يملّ من طلب الاعتراف من عين ماء جبهة القتال، كان الشيخ محمد يعود إلى رفاقه في الحوزة بعد طول غياب، أكثر صمّتًا، وأكثر نقاءً، وكأنّ مرآة روحه تنجلي مرّةً بعد أخرى، ما عاد صوته يسمع في النقاشات والجدالات، حتى حضوره بينهم، صاروا يدركون أنه في الشكل، أما روحه فقد تركها هناك.

ثمة قلقٌ ينتاب الشيخ محمد بين وقتٍ وآخر ويلزمه في ساعات راحته؛ لقد انقطعت عنه رسائل صديقه إبراهيم درويش في «شلة ياي» ولم يعد يلقي جوابًا منذ الرسالة الأخيرة التي وصلته منه، وردّ عليها برسالةٍ باح له في آخرها بما يقلقه، أيضًا لم يلق جوابًا:

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.
أخي الكريم، الحاج إبراهيم درويش، أيده الله تعالى. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلتني رسالتكم الكريمة مع سماحة الشيخ محمد طحيني، فحمد الله على أنكم بخير من شرِّ الأعداء والصهاينة، وإن شاء الله، سوف نجلب لهم الولايات والبلاءات، والقتل والسبي عمًا قريب بإذنه تعالى.

هذا العدو المتخطرس، الذي دخل في البلاد، وأفسد فيها، سوف يزول لا محالة، وعلامات هذا واضحة، إذ إنَّ العمليات الأخيرة، أي عمليات «والفجر»، سوف تهدّد تل أبيب وقصر رئاسة بيغن، فهي تشكّل الخطر الحقيقي عليهم، وسوف تكون مهمة في تحديد أوضاع المنطقة السياسية والجغرافية. وكما نرى، فالاستعمار يسعى في دعم صدام وزمرته بالأسلحة والمعدّات والمعنويات، ولكن ﴿مَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ﴾. الجيش الإسلامي زاحف وقادم لا محالة، وعلى المسلمين أن يعدّوا أنفسهم لمواجهة إسرائيل، وإسرائيل يجب أن تزول.

فأبشر يا أخي إبراهيم، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾. وإنني سوف أرسل لك تاج الشهادة، وهي فتوى للإمام الخميني، أفتى فيها حول العمليات العسكرية، وأتمنى أن تكون هذه الفتوى حُجَّةً على الجميع يوم القيامة. كما وأتمنى نشرها في أكثر من بلد إذا أمكن، بالتنسيق مع العلماء.

أتمنى أن نكون معًا لنلتحق بالرفيق الأعلى، ويا لها من سعادة لكم الآن، أنتم، في جبل عامل، إذ إنَّ أبواب الجنة مفتوحة، والإمام الحسين يستقبل الشهداء مضرّجين بدمائهم، يحملهم ويدخلون الجنة بغير حساب...



إذا نلت الفوز العظيم قبلي، فأسألك الشفاعة، ويا لها من حياة خالدة ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. الشوق يدفعني إلى المجيء لكي أقاتل معكم، وممّزق ونحرق كل صهيوني. وإذا لم أوفق لهذا العمل في لبنان، فأسأل الله أن يوفقنا للعمل الصالح.

أخي الكريم، أتمنى أن يكون التأثير على الإخوان العاملين، في هذه الأيام، لتحويل نشاطهم إلى العمل العسكري، لأنّ إنهاك العدو وقتله وحرقه سوف يضعفه ويحطّمه...

بعد كتابة هذه الرسالة، وصلني خبر اعتقال بعض الشباب من عيتيت، ولم أدر من هم، كلّ الذي عرفته أن الأخ محمود درويش اعتقل. لقد أصابني الارتباك، ولا أدري حقيقة الوضع...

بعد هذه الرسالة، أخذ الشيخ محمد في كل مرة يمسك فيها القلم، يضيف فيها خلاصة ما كتبه سابقاً، مقدّراً له انشغاله الدائم بالعمل الجهادي، فلا يلقي ردّاً. وفي الرسالة الأخيرة، أفصح له عن نيته زيارة لبنان بهدف الزواج، والعودة إلى إيران مع عروسه. أيضاً لم يلق جواباً.

تلاشى قلقه ونسي رسائله إلى إبراهيم أمام اتصالٍ ورده، وجعله يعود مع شقيقته ليلي إلى لبنان على وجه السرعة. هناك، في منطقة الجناح، دخل منزل أهله، استقبلته أم حسن بعناقٍ طويلٍ وبكاءٍ مريّرٍ: «محمد حبيب بيو، راح أبوك يا محمد»،

وحاولت شقيقته دلال أن تتمالك نفسها غير مرة وهي تخبره كيف مات أبوه: «ذهب مع أمي إلى عيتيت، وعاد إلى عمله على أن تلحق به، وفي يومه ال...»، وغصت بصوتها، بكت، وبكى الشيخ محمد، ثم أكملت: «في يومه الأخير، حضرتُ له زوادة الغداء ليأخذها معه إلى عمله»، تنهدت بندم، «كان يريد طبق المعكرونة باللبن بدلاً من اللحم، لكنني حضرتُ له من الموجود، وذهبتُ إلى المدرسة، وغادر هو إلى عمله. وبعد انتهاء الدوام، قصدتُ ابنة خالتي لأصلي عندها، فوجدتهم يلبسون السواد، وينظرون إليَّ بطريقة غريبة. أوصولني إلى البيت، كان المدخل يزدحم بالناس، وهم ينظرون إليَّ النظرات ذاتها. وعندما صعدت، وجدت البيت يغمص بالناس، لقد وقع أبوك من أحد المباني وهو يعمل في الورشة، حاولوا إنقاذ حياته في المستشفى، ولكن...»، وسكتت، وضمتها الشيخ محمد، وهدأ من روعها بكثيرٍ من عبارات الصبر، وكثير بكاء.

وفي ذكرى أربعين والده، وبعد أن قرأ الفاتحة على ضريح أبيه في عيتيت، لاحظ أنّ صديقه إبراهيم درويش لم يكن بين الذين أدوا واجب العزاء. توجه إلى مقرّ «شلة ياي»، حيث كان يتنفس الراحة بعد طول تجوالٍ وتعب، وجد المقرّ خاليًا من الأصدقاء الذين تعاهدوا على البقاء معًا، يعذرهم بأيّ حال، منهم من سافر ليكمل علمه، ومنهم من انصرف إلى عمله. طرق باب أحد الأصدقاء، وبعد أحاديث الشوق واسترجاع الذكريات، صمت صديقه أمام سؤال الشيخ محمد عن إبراهيم درويش وطأطأ رأسه. ارتبك الشيخ محمد وأخذته الريبة، هزّ كتف صاحبه ورفع رأسه: «ما الأمر أخبرني؟!».

«إبراهيم درويش صار شهيدًا، سكت، ثم أتبع: «اكتُشِفَ أمرُه في العمل الجهادي، واعتُقل في أنصار، وتعرّض لتعذيبٍ شديدٍ وفق ما أخبرنا به شقيقه محمود، لكنه كان صلبًا قويًّا، صابرًا. بعد ذلك، أراد العدو الإسرائيلي أن ينقل المعسكر، من أنصار إلى عتليت داخل الأراضي الفلسطينية، فباشر مع مجموعةٍ حفر خندقٍ تمهيدًا لعملية هروبٍ منه، ولكن عملية جرف المعسكر أدت إلى انهيار النفق، فاستشهد إبراهيم درويش مع الشهداء: عباس بليطة وإبراهيم خضرا وأحمد شعيتو».

وكعاداته في تفقُّده الدائم لأصدقائه ومعارفه في إيران، ذهب الشيخ محمد ليزور الشيخ راغب حرب في جبشيت، فلم يجده، وجال في بيروت على عددٍ من العلماء الذين التقى بهم في إيران. ثم غادر مع زوجه إلى إيران، ترافقه صورة صديقه الشهيد إبراهيم، هذه الصورة، وضعها في بيته الجديد إلى جانب صورة صديقه الشهيد أنيس جابر، الذي استشهد في إحدى جبهات القتال الإيرانية، وفُقِدَ جثمانه، ووجدوا بين أغراضه وصيةً كتب فيها: «اكتبوا على ضريحي: هذا العبد الفقير الذي أحبَّ الإمام الخميني حتى الهيام».

سريعًا تحوّل بيت الشيخ محمد، الذي استأجره من ابن بلدته وأستاذه الشيخ محمد طحيني، إلى بيت أنس، فقد تزوجت شقيقته دلال من صديقه الشيخ يوسف عاصي، وصارت جارةً له في قم. وقدمت والدته لتزوره في الغربة، بعد أن كانت تنتظر زيارته مرةً في السنة، وجدته يأنس بجوار السيدة فاطمة المعصومة، وأنست هي في صحبته إلى المقامات المقدسة في قم وطهران. أما أسعد لحظاته،

فكانت عندما جاء شقيقه حسن من دبي ليزوره، وغدت البسمة لا تفارق وجهه، يستيقظ عند الفجر ليحضر له القشطة وما يطلق عليها «القيمر»، ويأنس به في السهرات مع رفاقه العلماء على المتكأ الرقيق، ويجد حسن أنّ الشيخ محمد يعيش سعادةً حقيقيةً على الرغم من الفقر، والبيت المتواضع، المجاور لمقبرة الأربعين نجمًا من أولاد الأئمة، بعد أن كان سفره للتخصّص في الطب وانتشال أهله من الفقر.

وفي الجانب الذي خفي عن أهله، ومع تطوّر المعارك وعمليات الهجوم، كان ابن الجبهة يضيف إلى خبرته العسكرية ودوراته السابقة مهاراتٍ قتاليةً عالية، اكتسبها في دورةٍ عسكرية مكثّفة، جمعت مختلف الاختصاصات وحاجات المرحلة في الحرب.

«أبو أحمد قصير»، المشرف على الدورة، يعرف الشيخ محمد جيدًا، فقد التقاه في طهران أول سفره من أجل دراسة الطب، ثم إنّ والد الحاج «أبو أحمد» أستاذ للشيخ محمد في الحوزة، كذلك جمعتهما علاقة عائلية، وأكثر ما كان يلفته في شخصية الشيخ محمد أنه شابٌ هادئ، خجول، بالكاد يُسمع صوته، مفعّم بالحيوية والهمة العالية، كثير التنقل لخدمة طلاب العلم، لكن الذي فاجأه في هذه الدورة، أنّ الشيخ محمد في معسكر التدريب شخصٌ آخر، صاحب قلبٍ قويٍّ وجريء، يستجيب للتدريبات كافة مهما كانت صعبة، متمكّنٌ من قيادة الدراجة النارية صعودًا في الجبل ونزولًا، من دون أن ينقلب أو يتدحرج بسبب العوائق التي وُضعت، كثير الصبر، لا يستسلم لمسافات السير الطويلة، أو الزحف على الشوك، غير مبالٍ بالمفخّخات الزائفة التي وُضعت في صنوبر الماء، وتحت الوسادة، وحيث لا يتوقّع.

...





سباق مع القطار

المحطة الثامنة

من | إلى
قم | الفاو

العروج ١٩ شهر رمضان
الساعة ٤:٣٠ صباحاً

١٩٨٦-٥-٢٨

سباق مع القطار | من | إلى
المحطة الثامنة | قم | الفاو

العروج ١٩ شهر رمضان الساعة ٤:٣٠ صباحاً

١٩٨٦-٥-٢٨



دخلت الحرب المفروضة على إيران عامها السادس، وما زال جُلَّ الشيخ محمد في الجبهة أكثر من ترحاله عنها، يشاطرها أيامها الصعبة بكلِّ ما تلقاه من فنون حربٍ، لم يألُ صدام حسين جهداً في استخدامها لتدمير كل ما يُبقيها على قيد الحياة، بما فيها القطار. فقد التفت إلى أهمية دوره، كونه يمدُّ الجبهات، على نحوٍ متواصل، بالمئات من المجاهدين، ويُعدُّ أيضاً بمنزلة الجبهة الخلفية، إذ يوضع فيه الجرحى، ويتلقون العلاج الأولي، وبه يُنقلون إلى المستشفيات.

وكان الشيخ محمد قد اعتاد المرور بمنطقة تل زنك للوصول إلى الجبهة، كخطٍّ مرورٍ إلزامي، فقصفت قوات صدام جسر «تل زنك» بالطائرات لتقطع خط الإمداد هذا، لكنَّ الإيرانيين ربطوا الجسر المدمر بجسرٍ من الخشب، وصار على الشيخ محمد في كل مرة يذهب إلى الجبهة، أن يعبر جسر تل زنك الخشبي سيراً على الأقدام، على الرغم من تأرجحه وخطورة الانزلاق التي تؤدِّي إلى الموت المحتم.

وكان الشيخ محمد في أيام الجبهة، التي يتخللها راحة بعد استطلاعٍ أو هجومٍ أو تبليغ، يذهب برفقة صديقه السيد حسين سيد نور إلى الأهواز، فيبيت في منزل أهل صديقه، وتغسل أمه

ثيابهما، ثم يعودان إلى حيث تركا الرفاق. وفي إحدى المرات، غاب الشيخ عن صديقه في الجبهة فجأةً، واستمر غيابه ثلاثة أيام، ولم يكن من منزلٍ آخر يبيت فيه غير منزلهم، أيضًا لم يجده هناك. وفي اليوم الرابع، عاد الشيخ محمد وأخبر صديقه أنه كان في زيارة خاصة للإمام الخميني. ومضى النهار والسيد حسين يسأل الشيخ محمد متعجبًا: «كيف وُفِّقت لزيارته؟!»، والشيخ يردُّ بابتسامة من لا يزال يرى الإمام الخميني أمام عينيه.

أما في غير أيام القتال، فقد توزعت همّة الشيخ محمد في قم، بين دراسة مرحلة السطوح في الحوزة، وإعطاء الدروس في مقام السيدة فاطمة المعصومة، والمشاركة في تشييع الشهداء، وزيارة رفاقه وتفقد أحوالهم، ودعوتهم إلى بيته، وزيارة شقيقته دلال، يلحق به عدد كبيرٌ من العلماء الذين دعاهم لتناول «الفلفل» من صنع يديها. أما الحصة الأكبر من استثناسه، فكانت مع ابنته الصغيرة فاطمة، صارت بعمر الثانية. عندما يحضر إلى البيت، يستقبلها بذراعيه وهو يناديها: «فاطمتي، فاطمتي»، ثم يجلسها في حضنه ويطعمها بيديه، أو يركض خلفها، هكذا، حتى ينهكها اللعب فتنام.

ولم يكن الشيخ محمد ليغيب عن رفاقه المجاهدين، بعيدًا عن الجبهة، وهذا أكثر ما كان يزيدهم تعلقًا به، من بين هؤلاء الرفاق «غلام خميني»، صديقه في الاستطلاع، يزداد تعلقه به يومًا بعد يوم لما رأى من روحيته الإيمانية والجهادية، ولهفته عليه. ومنها أن جاء مخاض زوج غلام خميني في إحدى ليالي شهر رمضان،

فأخذها إلى المستشفى، وكان لديه طفل صغير، اضطر إلى أن يأخذه معه إلى المستشفى، لأنه ليس لديه أقارب في الجوار. وبينما هو في المستشفى، دُهِس لرؤية الشيخ محمد جاء يبحث عنه، سأله عن كيفية علمه بوجوده، فأجاب: «الأخ الحقيقي لا يتعد عن أخيه لأكثر من ثلاثة أيام، وأنا طرقت بابك لأتناول معك الإفطار فلم أجدك، ولعلمي أنك لا تعرف أحدًا سواي في قم، فقد احتملت أنك هنا، لذا، جئتُ أبحث عنك، وأحمل طفلك الصغير إلى بيتنا ليلعب مع ابنتي ريثما تغادر المستشفى».

وحدث ذات صقيع، أن كان أحد جيران الشيخ محمد بنبه طفله الصغير، على ألاّ يفتح النافذة بسبب الرياح العاصفة، فيما كانت زوجته تخبره أنّ الليلة ستكون قاسية جدًّا، فوجبة الحطب التي تلَقَمها المدفأة هي الأخيرة، وهو يجيبها أن الله سيفرجها في الغد. وطُرق الباب، فتنافس الصبي وأخته على فتحه، لكنّ الوالد نهاهما عن الأمر لئلا يتعرضا للبرد. فتح الرجل الباب، فإذا بجاره الشيخ محمد يقف أمام سيارة والبرد يلفحه: «فلتساعدني في نقل الحطب إلى بيتكم، وإن شئتُ أبيتُ الليلة عندكم».

وحدث أن طاف نهر كارون ذات مرة، فتضررت بيوت كثيرة مجاورة للنهر في محافظة خوزستان، وطلب إلى الشيخ محمد وعدد من العلماء أن يتوزعوا في المناطق المتضررة ويتفقدا الأهالي، فمكث الشيخ محمد في إحدى القرى عشرة أيام، يساعدهم في نقل الأغراض، بالإضافة إلى التبليغ والإجابة عما يسألون عنه من أحكام دينية.

جاء ربيع العام 1986م، والتقى الشيخ محمد في أحد أيام رجب صديقه الشيخ نبيل قاووق، في منزل القائد الحاج «أبو زينب» في الأهواز. وهناك، جرت حوارات بين الثلاثة، واستمرت من الظهر حتى فجر اليوم الثاني، تحدثوا فيها بمختلف المواضيع السياسية والفلسفية والفقهية، كذلك حضروا عدة دروس أخلاقية عند بعض العلماء في العرفان، وصلّوا خلف آية الله موسوي الجزائري، ثم، بعد يومين، افترق الشيخ محمد والشيخ نبيل كل في مهمة جهادية. وبعد عشرة أيام التقيا من جديد، وكان وجه الشيخ محمد يتهلل فرحًا:

- ما الذي يفرحك إلى هذا الحد؟!

- كنت في الفاو، وما أدراك ما الفاو!

- هاتِ أخبرني.

- بدايةً، عبرنا نهر «أروند رود» مع المجاهدين في الزوارق باتجاه الفاو، وهذا النهر أمواجه عاتية، يتجاوز عرضه 500 متر، وفي بعض النقاط يتجاوز الـ 1000 متر، وحكى المجاهدون كيف اجتازوا نهر «أروند رود»، لتنفيذ عملية «والفجر 8»، مساء التاسع من شباط 1986م، في ذكرى انتصار الثورة الإسلامية، وهذا النهر ألقى فيه صدام حسين أسماك قرش، وكانوا قبل العملية يعبرونه غوصًا على الرغم من شدة برودته، فإذا ما انتاب أحدهم سعال مفاجئ، يدرك أنّ عليه النزول في الماء وحبس أنفاسه، ولو كلّفه الموت، لثلا ينكشف أمر المجموعة ويتسبب في موتهم على أيدي الجنود الصداميين،

الذين يراقبون المكان ليل نهار. وقد جرى في عملية «والفجرة» تحطيم الجدار الدفاعي، الذي أقامته القوات الصدامية من ضمن الموانع والاستحكامات الكبيرة التي استحدثتها، بالإضافة إلى تحطيم السدّ الكونكريتي. وبعد ذلك، تمكن المجاهدون من الوصول إلى الفاو والسيطرة عليها، وبهذه الخطوة، أغلقت النافذة العراقية الوحيدة على الخليج، حيث كانت قوات صدام تستمدّ دعمها العسكري. بعد ذلك، بدأ المجاهدون يتقدمون نحو جزيرة «أم الرصاص وخور عبد الله»، وهو المدى المائي الحيوي الوحيد للبحرية العراقية، ومنه ستبدأ مرحلة جديدة من مراحل الهجوم في المناطق الشمالية. والأهم، أنّ الجبهة الإيرانية حققت استقرارًا كبيرًا بعد استيلائها على جزيرة الفاو، ولم يعد بمقدور صدام حسين قصف مواقعنا منها، كما كان يفعل طيلة سنوات. ومن طرائف هذه الرحلة، مولانا الكريم، ما رأيته من أمر عجيب في نهر شط العرب، فقد كنا نجلس عند المغرب قرب ضفّته، وعندما يحلّ المساء، نجد أنّ المياه بدأت تغمرنا ونحن نيام، وكان منسوب النهر يعلو نحو نصف متر، ثم يعود وينخفض صباحًا، ويترك لنا الكثير من الضفادع.

- ومن أكثر إزعاجًا: الضفادع، أم فئران الصحراء التي قضيت وقتك تطاردها العام الماضي في «فكة وشلمجة»؟

- في الفاو تنسى كلَّ شيء عندما يكون الاشتباك والتبليغ
والصلاة جماعةً والدعاء قرب كربلاء. هناك، تشعر بالقرب
الشديد من الإمام الحسين (ع). حبذا لو أعود إلى هناك
مجدِّداً.

- أُلن تسافر إلى لبنان أثناء العطلة؟!

- لست أرغب في الأمر هذا العام.

- إذا شئتُ أسعى لك في السفر إلى أفريقيا لتُبَلِّغ هناك.

- لست مقتنِعاً بهذا الخيار، ناهيك عن الأمراض هناك. هل

تسدي إليّ خدمة؟

- لك ما تريد.

- سوف أذهب إلى جمكران لأعتكف في المسجد، أريد منك أن

تصحب معك زوجي وابنتي إلى لبنان.

مضت أيام الاعتكاف، واتصل الشيخ محمد بالحاج «أبو أحمد

قصير»، وطلب إليه أن يستخير له، كما يفعل عادةً عندما يختار

لأمرٍ ما، ففعل، وأجابه:

- بقاؤك في إيران فيه شهادة مميزة شكلاً ومضموناً.

- عجباً!

- وممَّ العجب؟

- هل يمكنك أن تستخير لي مجدِّداً؟

- أجل، صمت الحاج أبو أحمد برهة ثم قال: «كالأولى،
شهادة مميزة».

- يا للعجب!

- ما بك؟!

- لقد اعتكفت في المسجد طلبًا للشهادة، فكيف تكون الخيرة
جيدة للتبليغ هنا، وغير جيّدة للقتال في لبنان؟

- ما الذي تنوي فعله؟

- ماضٍ إلى ما اختاره الله لي. لكنّ أمرًا يحيرني.

- ما هو؟

- إني متيقّن من الشهادة، لكنّ حيرتي في كيفية الشهادة التي
سأطلبها من الله؛ أطلبها كشهادة عليّ (ع) في المحراب؟! أو
كالحسين (ع) من دون رأس؟! أو قطيع اليمين كالعباس؟!

- أصل الشهادة أن الله اختارك إليه، فلا يهمّ كيف!

- كنت سأطلب منك، في حال سافرت إلى لبنان، أن تحضر
زوجي وابنتي معك لدى عودتك إلى هنا، ولكن ما دام في
الأمر شهادة فلا داعي للأمر. سلام.

- سلام.

بدأ بدر شهر شعبان يتناقص، واستعدّدت زوج الشيخ محمد
للسفر إلى لبنان مع شقيقته دلال والشيخ نبيل وعائلته، وفيما هي
منهمكة بتوضيب أغراضها في حقيبة السفر، حمل الشيخ محمد

ابنته فاطمة، أجلسها في حضنه، وأخذ يداعب خصلات شعرها، يقطف خديها الورديين، يلبسها سُبَّحْتَه عِقْدًا: «فاطمتي... فاطمتي... غدًا ستكبرين يا حلوتي، وسوف تخبرك أمك كيف حملتُك في اليوم الأول من ولادتك إلى أمك الثانية سيدتي فاطمة المعصومة، وأخبرتُها بأني سميتك على اسمها. فليباركك الله فاطمتي». ثم، حان موعد الذهاب إلى المطار، استقرت على ذراعه الأيسر طوال مسافة الطريق، وعندما جاءت لحظة الوداع، غمرها بقوة، وشفته تنقلان بين جبينها وخديها وكفَّيها، وهي تبتمس له، ولا تفقه من وداعه شيئًا. وبينما كان يغادر، التفت إليها ولوّح بيده، ثم مشى بضع خطوات، وأعاد الكرّة ثانية، فيما غادرت هي إلى الطائرة مع أمها، وغاب طيفها عنه في المرة الثالثة.

والتقى الشيخ محمد بصديقه السيد هاشم، وكان بداية الحديث مقدمة لنقاشٍ تكرر في كل لقاء، على مدى أيامٍ متواصلة:

- قررت البقاء هنا مبلِّغًا ومقاتلاً.
- بل سترافقني إلى لبنان.
- بل أنت ستبقى معي، وسوف أحصل لك على بطاقة تبليغٍ لنذهب معًا.
- اسم..
- لا عودة عن قراري.
- اسمعني، يمكنك أيضًا أن تكون مقاتلاً ومبلِّغًا في لبنان، وتقضي العيد مع أهلك أيضًا.

- صحيح، ولكنني أرى أنّ الحرب هنا هي حربٌ للقضاء على الثورة والمشروع الإسلامي عمومًا، وانتصار هذه الجبهة يعني أيضًا حفظ المقاومة في لبنان.

- أنت مُحقّ، لكن، بإمكانك أن تعود إلى الجبهة لاحقًا.

- لن يكون هناك مرة أخرى، هل أحضر لك بطاقة للتبليغ؟

- بل سترافقني إلى لبنان وتقاتل هناك.

- هل تقبل بخيرة الشيخ بهجت حكمًا فصلًا بيننا؟

عند الشيخ بهجت، اصطفّ الشيخ محمد خلف الذين سبقوه إلى الاستخارة، ووقف السيد هاشم بالقرب منه، ومن عادة الشيخ بهجت، أنّه لا يتفوّه بما تكون الخيرة، بل يومئ برأسه إن كانت جيدة، أو يرفعه إلى الأعلى إن كانت سيئة. وعندما جاء دور الشيخ محمد، أخذ السيد يرقب رأس الشيخ بهجت، فإذا به يومئ وينظر في وجه الشيخ محمد ويقول: «خيلي خوب، شهادت سرخ».

التفت الشيخ محمد إلى السيد هاشم وعيناه تقفزان من الفرح:

-أرأيت؟! قال إنها جيدة جدًّا، شهادة حمراء!

ثقيلاً، بطيئاً، هي الأيام التي قضاها الشيخ محمد وهو ينتظر موعد انطلاقه إلى جبهة الأهواز، ولم تخلُ من مفاوضات يائسة بينه وبين السيد هاشم لإقناعه بمرافقته إلى لبنان. حتى إذا ما بزغ فجر يوم انطلاقه إلى الجبهة، بدأ صراعه مع الساعات يزداد، ليحين موعد قطار الجبهة في الثالثة والنصف من بعد الظهر.

فتح النافذة، وتأمل فوضى العصافير التي اعتادت أن تغرد لفتات خبزٍ يابسٍ يلقيه إليها كلَّ يوم، ثم بدّل ملابسه، وتوجّه لزيارة السيد هاشم ليقضم من الانتظار بعض الوقت. واقترح الشيخ عليه أن يأخذه بسيارته في زيارةٍ إلى طهران، على أن يعودا قبل موعد القطار، فوافق.

أثناء الطريق، غلب عليهما الصمت، لم يكن السيد هاشم يعرف ما الذي يدور في رأس صديقه الشيخ محمد، فالجبهة أخذت لَبّه وتركته حاضر الجسد منذ سنوات، لكن، في المقابل، ثمة ما يدور في رأسه: كيف لامرئٍ يقترب من الموت ولا يضطرب؟! لو قيل لأي فردٍ إنك ستموت في هذا اليوم لقضى وقته يبرئ ذمته مما عليه من حقوقٍ لله والناس! ولكنَّ الشيخ محمد يسابق الوقت بشوقٍ للرحيل ولقاء ربه! أيُّ إنسانٍ هذا الذي بجانبني؟!

فجأةً، وبعد أن اجتازت السيارة مسافة نحو أربعين كيلومترًا، قطع تساؤلاته عطلٌ في السيارة أوقفها في وسط الأوتستراد. أدارها من جديد، فسارت مسافة قصيرة ثم توقّفت. أدارها مجددًا، وأخذ ينحرف ببطء رويدًا رويدًا إلى جانب الطريق، إذ لم يكن هناك من فاصلٍ ليلتفّ منه إلى خط العودة.

- «ماذا سنفعل الآن؟» سأل السيد.

- أعرف محلاً للتصليح، لكنه بعيد، ونحتاج وقتًا طويلًا للوصول إليه، إذا كانت السيارة تسير بنحوٍ طبيعي، أمّا بهذه الحال، فإننا سنتأخّر كثيرًا، وأخاف أن يفوتني موعد القطار، وعلينا أيضًا أن نحضر بطاقة القطار.

- أرى في عطل السيارة إشارةً إلى أنّك سترافقني إلى لبنان.

- بل سأبقى هنا، هيا إلى محل التصليح!

على جانب الطريق، لم يكن من فرقٍ بين سرعة السيارة وسير
الراجل. وكان الصمت سيد الموقف، وإن كان السيد يدرك هذه المرة
أنّ صديقه لا يفكر في شيءٍ غير حساب الوقت. وإلى أن وصل وأودعا
السيارة عند صاحب المحل، كان النهار قد انتصف، فاستقلَّ سيارة
أجرة، وعادا إلى بيت الشيخ محمد، أخذ يتنقل في البيت مسرعًا
وينتقي الأغراض التي سيحتاجها في الجبهة. وبعد أن وضَّب حقيبته
سأل صديقه:

- هل نأكل معًا؟

- لستُ جائعًا.

- يوجد في البراد بيضٌ ولحمٌ، وأخشى أن يفسد الطعام في
حال لم أعد!

- حسنًا فلنُحضِّره وأنا سألفُّ لك العمامة.

بعد أن أصبح كلُّ شيءٍ جاهزًا، خرج السيد من البيت، وحمل
الشيخ حقيبته، وقبل أن يغادر، أمسك بقصاصةٍ من الورق، كتب
عليها بضع كلمات، ثمَّ ثناها ووضعها على الطاولة الخشبية.

أثناء الطريق إلى محل التصليح، كان الوقت قد بدأ يداهم
الشيخ محمد، والساعة تقترب من موعد القطار، وهو يطلب إلى
السائق أن يسرع قدر الإمكان، فيجيبه أنه لا يمكن أن يتجاوز

السرعة المطلوبة. وعندما اقتربت السيارة من المحل، كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة والنصف! ابتسم السيد:

- ألم أقل لك أنك سترافقني إلى لبنان؟
- بل سأصل.

- تخطينا موعد القطار يا رجل!

- قال شهادة حمراء، هيا، فلنحضر السيارة. رد الشيخ وهو ينزل من سيارة الأجرة بعجل.

داخل محل التصليح، أمسك الرجل بمسمارٍ لولبيٍّ كبيرٍ فكَّ من إحدى قطع السيارة، الموصولة بأخرى، وأخذ يشرح لهما عن خطورة الحادث الذي كان سيودي بحياتهما فيما لو كانت السيارة مسرعة، والشيخ محمد يومئ برأسه بسرعة لينهي الحديث فوراً.

سار السيد إلى حيث بطاقة القطار، بما أوتي من سرعة. وعندما وصل، هرول الشيخ محمد إلى بيت الرجل الذي بحوزته البطاقة، فوجده قد غادر، لكنه ترك له البطاقة ليأخذها.

- بقي لنا مسافة الطريق إلى المحطة. هل يمكنك أن تسرع أكثر؟ قال الشيخ وهو يجلس في السيارة ويلتقط أنفاسه.

- لقد تجاوزنا موعد القطار، ومع ذلك فإنني أسرع قدر الإمكان. التفت إليه وابتسم: «أرى أنك سترافقني إلى لبنان».

- شهادة حمراء!

وأخيرًا، وصلت السيارة إلى آخر نقطة لها قرب سكة القطار،
فتأبَّط الشيخ محمد حقيبته، وهمَّ بتوديع صديقه وهو يركن
السيارة، فقال له السيد: «اسبقني وأنا أحق بك لأودعك.»

ترجَّل من السيارة، وشرع بالركض نحو سكة القطار، والحقيبة
على كتفه تتأرجح إلى الأمام والخلف. ركض بأقصى سرعته، ليست
المرَّة الأولى التي يسابق فيها القطار، فهو، لطالما سابق قطار الشحن
الأبيض صغيرًا في سن الفيل، كان ينتظره كلَّ يوم، ويتأهب لسباقه
كلَّما سمع صوت صافرته وارتجَّت سكة الحديد تشي باقترابه. على
الرغم من هزيمة المقطورات له يوميًّا، ظلَّ يسابق القطار، وعلى
الرغم من تحذير أمه الدائم له بعدم الاقتراب من السكة، ظلَّ
يسابقه ويلحق به إلى المحطة. لكن، هذه المرَّة، يركض نحو السكة
ولا من صافرة تنذر باقترابه، يركض ولا من صوت أمِّ تحذره،
ولا أتراب يصفِّقون لقدمه ويرمون ظهره بالحجارة، الآن يركض
ولا وجه لقطار بلون الصحراء، يركض بأقصى سرعته ليلحق ولو
بالمقصورة الأخيرة، يركض على مرمى نظر صديقه كشهد النار،
يركض وليس معه سوى اليقين بأن التَّجارة الخاسرة التي بدأت
بعملة صغيرة عند تلك السكة، لا بدَّ وأن تنتهي عند هذه السكة
بتجارة لن تبور.

وصل إلى المحطة، لم يجد القطار، أرخى حزام الحقيبة عن
كتفه ووضعها على الأرض، وظلَّ واقفًا يرمق آخر السكة، في الوقت
الذي اقترب صديقه نحوه. فجأة، سمع صوتًا خافتًا قادمًا من بعيد،
فتبدَّدت مساحة الخوف التي تناوبت قلبه، لصالح مساحة اليقين.

أخذت السكة ترتجف، فالتقط حقيبته وشدَّ حزامها يثبتته على كتفه، لاح وجه القطار الصحراوي يقترب نحوه، دنا من السكة أكثر، وقبل أن يصل القطار، شعر بيدٍ على كتفه، التفت، فإذا بصديقه وصل:

- عجب أمرك، نادرًا ما تأخر القطار عن مواعده! قال السيد.

- إنها الشهادة الحمراء! خذ هذه الأوراق، لم أعد بحاجة إليها.

قال الشيخ وهو يفتح محفظة جيبه.

- سأستاق إليك كثيرًا. قال السيد وهو يعانقه بحرارة، ثم

تأمل ملامحه الهادئة وابتسامته، ربّت على كتفه، وعانقه

من جديد، وطال العناق إلى حين توقف القطار، فصعد

الشيخ محمد في المقصورة الأولى.

من الصحراء، انطلق الشيخ محمد بالقطار، ووصل إلى نهر

أروند رود. وهناك، ركب المجاهدون في القوارب، وعبروا الضفة إلى

الحدود العراقيّة، عند ضفة نهر شط العرب. استراحت القوارب بين

أشجار النخيل الكثيفة، وتوجّه الشيخ محمد والمجاهدون نحو شبه

جزيرة الفاو، ليثبتوا مواقعهم فيها.

توزع المجاهدون في مواقعهم في الفاو، وخصّصت دشمة

للعلماء المبلغين: «محمد رملاوي»، «محمد حسين مختاري»، من

محافظة مازندران في شمال إيران، ضمن كتيبة حمزة في فرقة «كربلاء

25»، التابعة للجنرال فرقاني، «محسني» من غرب مازندران، وهذا

قيل عنه إنه من الطلاب الحوزويين المتألقين في الحوزة، وأيضًا

«رضوي» من منطقة ساري. وكان على الأربعة، بالإضافة إلى التبليغ

وتعزيز الروح الجهادية والمعنوية لدى المجاهدين، أن يشاركوا أيضاً
بصدّ أي هجوم محتملٍ من الجنود البعثيين.

داخل المعسكر، كان الشيخ محمد يبدأ تجواله منذ الصباح،
يتنقّل بين دشم المجاهدين، يبتّ فيهم الروح الجهادية، ويزيد من
معنوياتهم، ويلحق به الشيخ مختاري ليدعوه إلى قسطٍ من الراحة
منتصف النهار، ليدراً عنه حرّ الصحراء، فيضّر على أنّ أجره على
قدر المشقة. وإذا ما قصد المجاهدون دشّمته للاستفسار عن مسألة
فقهية أو عقائدية، فإنه يحضر لهم الشاي قبل أن يجيبهم. أما
ليلاً، فمناجاته وبكاؤه وصلاة الليل درسٌ آخر للمجاهدين، تضجُّ
معه الصحراء ببكائهم.

في هذا الوقت، كان صدّام حسين يحاول أن يستردّ الفاو
بأي ثمن، لذلك، كانت قواته تقصفها باستمرار، وكان المجاهدون
الإيرانيون يتحصّنون في دشّمهم أثناء القصف، أما إذا ما تعرضوا
لهجوم، فكانوا يحاولون صدّه بقذائف الهاون. وكلما دعاهم قائد
الكتيبة لإطلاق القذائف، طلب الشيخ محمد إليهم أن يقرأوا ما
تيسّر من الدعاء والقرآن للتوفيق.

ثمة سلاحٌ خاصٌّ كان بحوزة الشيخ محمد، لا يملكه أحدٌ من
المجاهدين معه. فهو، كان يجول على طول خط الجبهة، وينادي
الجنود البعثيين بمكبّر صوتٍ علّق على عمودٍ خشبيّ، يخطب فيهم
بصوتٍ جريء، ويسألهم عن سبب انخراطهم في الحرب، والهدف
الذي يحاربون لأجله، ويموتون بسببه، وسيُسالون عنه يوم القيامة،
يبيّن لهم وجه الحرب الحقيقي الذي شوّهه صدّام حسين، وحقيقة

دور الإمام الخميني المرتبط بنهج أهل البيت (ع)، ويؤكد لهم علمه بموالاته الكثيرين منهم لأهل البيت (ع)، وهذا الأمر يوجب عليهم أن يكونوا مع جبهة الحق.

بادئ الأمر، تعرّض مكبّر الصوت لرصاص كثير، فطلب الشيخ محمد إحضار مكبّر آخر، وعاد يجول ويناديهم بصوت أكثر جرأة، رُدَّ عليه برصاصٍ غزير أصاب مكبّر الصوت من جديد، فطلب إحضار آخر.

بعد أيام من النداء المتكرّر، التفت القادة في الحرس الثوري إلى أنّ المواقع التي ينادي فيها الشيخ محمد أقلّ اشتعالاً من غيرها، فجعلوا نداءه جزءاً لا يتجزأ من المعركة، ولاحظ الشيخ محمد أنّ الرصاص الغزير الذي كان يُطلق نحو مكبّر الصوت، صار بعضه يُطلق في الهواء، ففهم أنّ بينهم من أجبروا على إطلاق الرصاص، فصار يدعوهم إلى تسليم أنفسهم، ويتعهّد لهم حفظ سلامتهم وإكرامهم في المعاملة.

وإذ سكت الرصاص، وفيما مكبّر الصوت ما زال ينقل نداء الشيخ محمد، توجه عددٌ من جنود صدام إلى معسكر المجاهدين، وسلّموا أنفسهم. حكى هؤلاء عن فنون الموت التي يلقونها إذا ما رفضوا قرار صدام بالقتال، منهم من أُعدِمَ أفراد أسرته أمام عينيه، ومنهم من رفض الذهاب إلى الحرب فربط في الصاروخ ثم أُطلق إلى الجبهة، ومنهم من ألقى القبض عليه في مقام الإمام الحسين زائراً، فعوقب لزيارته بالقتال معهم، ومن رفاقهم من ظلّ يقاتل عن قناعةٍ بصدام وحققٍ على الإيرانيين.

اكتمل بدر شهر رمضان، ونداء الشيخ يعلو وهو يجول على طول خط الجبهة، ونداؤه الجريء ما زال يؤثر في صفوف الجبهة المقابلة، إذ سلّم عددٌ آخر من الجنود البعثيين أنفسهم تباعاً. وجاءت كتيبةٌ جديدةٌ لتحلّ محل كتيبة حمزة، وصار لزاماً على الشيخ محمد مختاري أن يغادر مع كتيبته، فأصرَّ عليه الشيخ محمد بالبقاء لكي لا يفوته ما ينتظرهم عما قريب. سأله الشيخ مختاري عن الأمر متعجباً، فلا عمليات تلوح في الأفق، فأصرَّ الشيخ محمد عليه بالبقاء ليرى بنفسه، وهذا كان متعذراً عليه، إذ إنّ عالم دين في الكتيبة الجديدة، ولا يمكن إرجاعه.

في هذه الأثناء، بدأ القصف المدفعي على المعسكر، فسارعوا إلى الدشم واحتموا فيها إلى أن هدأ القصف فخرجوا، وبلغهم نبأ استشهاد «خانلائي» و«شاكري» مقطوعي الرأس، على بعد كيلومترين، فغبطهما الشيخ محمد وأخذ يتحدّث عن الرزق الذي نالاه، ويتمناه.

ودّع الشيخ مختاري أصدقاءه، واتفق مع الشيخ محمد على اللقاء المستمر معه، وعلى تشكيل لجنةٍ مشتركةٍ بينهما في قم، ثم غادر.

غربت شمس الثامن عشر من شهر رمضان، وتحولت دشمة الشيخ محمد إلى محرابٍ، أحيا تلك الليلة، ليلة القدر، بالصلاة والدعاء والمناجاة، وطلع فجر التاسع عشر، فتوضّأ وشرع بالصلاة، وبينما هو كذلك، بدأت القذائف تتساقط على المعسكر؛ أصابت إحداها دشمة الشيخ، فهوى.

في هذا اليوم، عبر الشيخ محمد ضفة النهر، واستقبله القطار جسداً من دون رأس ويد، وأقله مع رفيقيه الشهيدان «محسني» و«رضوي» إلى مقام السيدة المعصومة، فيما ظلّ مكبر الصوت معلّقاً على العمود الخشبي في الصحراء، وكان فيه رصاص كثير.

حطّت الطائرة في مطار مهرباد في طهران، الرحلة الطارئة التي تقوّرت بعد اتّصالٍ جاءه فيما يتناول طعام السحور. على طول مسافة الرحلة، لم يلتفت حسن إلى الساعة كعادته، إذ كان منقاداً بكلّه إلى تفاصيل حفرت ذاكرته وغيّبته عن مكانه وزمانه.

ومن المطار، استقل سيارةً إلى قم، فيما سبقه جثمان أخيه محمد بالقطار إلى حرم السيدة فاطمة المعصومة. هناك، وقف أمامه يخاطبه بصمت، يُذكره بأيّام العربة الخشبية، وضةً نهر بيروت، ووجبة القيمر، التي كان يستقبله بها في بيته في قرية نوبهار، ذكره بأيّام المراهقة وسيجارة السر. أخبره أنّه اشترى له بيتاً في ضاحية بيروت ليسكن مع أهله إلى الأبد. وذكرياتٍ أخرى مرّت مشاهدها أمامه وغصّ بها.

بعد مراسم التشييع، توجّه إلى شارع «آذر»، ودلف نحو بيت الشهيد نزولاً، هناك، أمام البوابة الزيتية، أخرج المفتاح من جيبه، خاتمه يده وهو يفتح القفل، أطلق تنهيدةً، ثم أدار المفتاح.

خلف البوّابة اتّأدت خطواته، وهو الذي كان يجتاز المر نحو البيت بكلّ خفّة. وقف بباب الغرفة، فرّت منه تنهيدةً حبيسة، جال بنظره على المكان، السكون صاحبّ، وكلّ الأشياء في الغرفة بدت له أجزاءً تتنفس عبق محمداً! وما إن وقع نظره على الطاولة الخشبيّة، حتّى لمح ورقةً مطويّة، فتحتها، قرأها، كانت تختلف عن كل الرسائل السابقة، فقد كُتبت على عجل، وكأنّ الوقت يتسرّب من الساعة الرمليّة.

«ادفوني عند السيدة فاطمة المعصومة، وإن تعذّر فإلى جوارها في روضة الشهداء».

ادفوني عند السيدة فاطمة
المعصومة، وإن تعذّر فإلى
جوارها في روضة الشهداء



سباق مع القطار

الشهيد محمد رملاوي



ملحق

١٩٨٦-١٩٦٠

ملحق ١٩٨٦-١٩٦٠

الطفولة

الاسم الثلاثي: محمد أحمد رملادي.
الاسم الجهادي: أبو هادي.
اسم الأم: علية محسن.
البلدة: عيتيت/ جنوب لبنان
تاريخ ومكان الولادة: 1960/11/15 - عيتيت.
الوضع الاجتماعي: متاهل وله ابنة.
المستوى العلمي: جامعي- حوزوي.
تاريخ ومكان الاستشهاد: 1986/5/28 - جزيرة الفاو.



في سوق برج حمود

1975



ساحة الشهداء
بيروت



ساحة البرج - الساعة
تموز 1975

عتيت/ جنوب لبنان



بمبن الصورة، يبيع أمام "بسطة" في مدينة صور
عام 1976



الشهيد محمد وأصدقائه الشهيد عدنان درويش-ابراهيم بعلبكي-حسن محسن
كلية العلوم الخميس 1979-5-10



في منزله في قم



مع الشيخ عبد الكريم عبيد



من اليمين حسن رملادي، ناصر صفي الدين، الشهيد محمد



مع الشهيد الشيخ أنيس جابر في طهران



من اليمين المرحوم السيد أحمد صفي الدين، حسن رملادي، ناصر صفي الدين،
والشهييد محمد



في طهران



يمين الصورة، أثناء مشاركته في مسيرة عاشورائية في طهران عام 1980



من اليمين السيد هاشم صفي الدين، السيد سامي خضرا، الشيخ علي كوراني، الشيخ نبيل قاووق، الشيخ مالك وهبي، الشهيد محمد رملوي، السيد يوسف صفي الدين في قم



في إحدى الجلسات العلمائية في قم



من اليمين الشيخ خضر نور الدين، الشهيد محمد رملوي، الشيخ مالك وهبي، السيد هاشم صفي الدين، السيد يوسف صفي الدين في قم.



من اليمين الشيخ خضر نور الدين، الشيخ محمد رملوي،
الشيخ علي الخطيب



مع والدته وطفلاته وشقيقته سمر



مع شقيقه حسن



أثناء مشاركة بدورة عسكرية
في إيران



في مقر لواء القدس قرب منطقة خرمشهر تمهيدًا للمرحلة الثالثة
من عمليات بيت المقدس، إلى جانب اللواء السيد حميد سيد نور



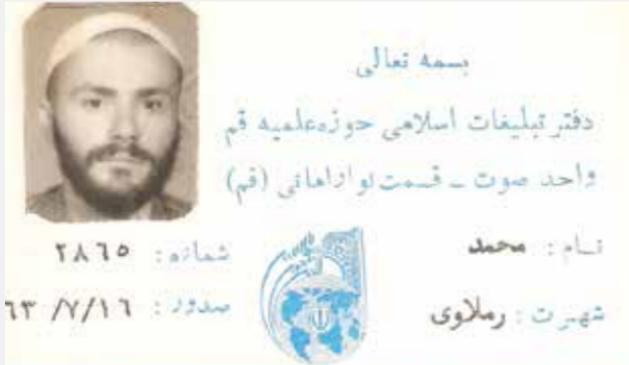
إلى جانب الشهيد علي رمضاني قائد فوج القائم في مقر
لواء القدس قرب خرمشهر



في الجبهة أثناء الحرب المفروضة



وثائق



بِسْمِ تَعَالَى

دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیه قم
واحد صوت - قسمت نوازمانی (قم)

شماره: ۲۸۶۵
مدور: ۶۳ / ۷ / ۱۶

نام: محمد
شهرت: رملوی



این کارت جز شناسائی مشترکین نوازمانی (قم) اعتبار دیگری ندارد
بطاقة اشتراك في مكتب التبليغ الإسلامی في الحوزة العلمية في قم



بِسْمِ تَعَالَى

سنگل بسیج نیروهای ارمان به خرمشهر
سپاه پاسداران انقلاب اسلامی خرمشهر

شماره کارت: ۵۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
نام و شهرت: محمد حسینی
نام پدر: احمد
گروه خون: A

۲ - سپاه پاسداران انقلاب اسلامی خرمشهر
۱ - انبیا و اهل بیت
۳ - اعظمی ازاد

تاریخ: ۱۳۸۴
شماره: ۶۰۱۲۰۵۱

بطاقة مشاركة جهادية مع التعبئة في خرمشهر

الحية الحبيبة حسن -

تزدل مرة اقله فيها عاصراً عن المنا يدوخوه ، لقد عدت نفسي دائماً ان كنت
 لى ما يتعلم وانما فيه ، لقد عدت به يدى دخلوه واكلمارى محمد منهم جميعاً لا يكتبوا
 او يتولوا ولا العهود ، اما انت فولد ادى لما اعدنا الارسال في الكتابه ؟
 لا ادرى لماذا لا تستطيع ان اصب تطوري في عجز واحد بل وداعاً حباً وعنايه ؟
 عذراً عند بداية الرسالة لا تني لا تستطيع ان انظم لا افكارى لا لتبروا لك بشئ
 واضح ، اسئ ان اوضح لك عذرا الامكان

- لطفا اذا نظرتنا دنا مطاعنا كشت في هذه الحياه ، ماذا تجد ؟ الا تجد اننا في عالم
 دائم دسترح حيات الزمن ؟! الا تجد دائماً اننا نطوي هذا الاصطاح المزد
 قنا صوده هذه الحياه ؟ الا تجد اننا دائماً نذهب ونشقى ورا وسعنا لتجرب
 اماينا واحدنا مع العلم اننا لا ندرىه اذا كان هذا حسس دائماً ودنا مغزات
 الزمن ونظوراته ، صحيح ان هذه همه سئة الحياه السعيب والتصويه والصبير
 ان الحياه عميده وجواد ، نعم هذه هي الحياه جواد ستمردلن بدون عقوده لنضع
 لكل جوادنا ، صحيح ان يكون لكل نصبا حروف اسمن من تجربت غايبنا فقط

فاندرنا الاسمن من ذلك ان نشى لكل عمل نعزم به ، يا فله كارتبه نعزم بها ،
 ادى فمرصننى اذيه ، ان نرضى الله سبحانه وتعالى منتا رزين لى الدافيه
 قطع اننا المستيه التي نحن دائماً نتساحا ونتجاهلنا مع العلم اننا نعرف اننا
 من احضر الامور التي سببت لنا المتاعه

لا ادرى ما هي الحياه التي كنت احيث في ساعنا سيوا عن نفسي ؟ وما هو الذي حدث
 ان حياه الانسان مرصيه لى اللفظات لتقلبات كثيره ، يمكن اني جادت مؤثر
 بغير معرف حياتنا ، لى الحظه مرصوا بعب علينا ان نميش حقيقه انفسنا باكلها ،
 بدون اية مرادفه ، وارى وقت نميش الانسان هذه اللطعات المشيه التي تفرغ
 مجرى حياهه كلها ؟ لى اسأل نفسي وا حيب مجربس الوقت ، فاني اعتمد
 انوا حالات الارسال بما كتبه ، ولا حيب على سؤالي

نميش الانسان لحظاته المشيه التي تغرب مجرى حياهه عندما يجلو لى نفسه بعيداً
 وقتنا سبباً لى الاجواء التي تحيط به ، صحيح انه من الصعبه ذلك ، لان الانسان

أبداً يسئله، ولكن يجب أن يحاول أن يأخذ السهم الحرفي ويرد له السهم
مناجاة ذلك بركن الإنسان إلى نفسه بعد أن يكون قد تحمل مشقات ومناجاة
عبد حذا أي التوكل على النفس. وسؤال الآخر الوهم بغير مجرى حياة الإنسان
بعد أن يكون قد فهم أن يدرك الحقيقة ويعبر ما ينفعه فيقول من أنساق
أبانت تأكله الحياة إلى أن أصبحت الحياة عنده وسيلة ليست غاية.

فما عتبارنا الحياة وسيلة لتبراج هذا العالم كثيرة، ونفسي جاليت صفة
ببراج من حمد للصحيح، نتناسى أن كل ما حولنا يتصعب، فيصبح تعلمنا يثبت
بلا عمل نعوم به، إنما نسعى إلى شئ واحد إلى شئ أسام، أو وهو الكفر
وأي إرضاء الله سبحانه وتعالى بكل شئ. لعاني وصلقت ذلي ما يريد إلى نقطة
حرة جداً في حياتنا والتي أطاول الأماكل للباقيات لأن يكون جدي في الحياة
هذا، أصوات إلى هذه المرحلة وجدت (في مرئناً وفتناً) أن هذا
المرح هو الذي يرضني في النجاح بكل عمل أصوم به.

فمن المذكر كلنا نعرف عن أي طريق مرضي لله ومن المذكر هو طريق الإسلام
التي إذا جادنا الإطراح عليه نقرم أنه الطريقة المستقيم

الاستطاح دائماً التعبير بتأمل وأصعب من الحقائق كثيرة بعد أن الإنسان ولا يقدر
أن يعبر سطر. فتبين في داخله يحاول أن يفتح حسره ولكن لا يستطيع، فهو كبت للروح
تفسر أسئلة روحية داخلية لا يجد فيها العلم. فربما لا يرضي إنما أصيب
تقدم بجمل ولا يظن أبداً ولكن المرء إذا جادل الدنيا أصبحت الأخطار.
فالمذاق إذا عاد إلى العمل وتجمع في عمله خله اجراء أما إذا لم ينصغ خله اجراء أو أحداً
كفانية لعقبيه.

أما كبت للروح والصور داخلية والتي هي من خلال بعض الشهور فإني أكتب
حدا دائماً لو ذكر نفسي بالذات أخوله أحب دائماً أن أعملهم برأسهم كثيراً
لا يضح نفساً عندنا أمام الناس وأمام ذنوبه، وطبعاً اتجاه الله سبحانه وتعالى
وحداً اجر أفتك من أشقاهم عابدين في الخبر من أصابعه بكل ما عندنا وحتى داخل
أفضله له لعاني أحد رقيقاً وأحياناً ينس الوقت للطريق الذي أسلكه إذا كانت
صحة يوجهه ويستجوبه

أخي الكتيب هذا ليس بما يراه النحوظ بدأ بل عن ياره العبد والذوق والنقد الأمله
لائي رويها حديث شخصاً أصدره سماه عنى لا احد على الخ حفظ لا ما جارحه
به و يناقشني الرمز و لو كان من اخطاه يصحح
اما بعد هذه الطوبه الطمويه لعلك تسأل ما هو وضعك يا أحمق؟ وما عندك
وما مثالي؟ وما هو الجد يدعله في البلد الجديد؟

لا بدأ لك من الأساس لعلك تعرف ان سفرنا من لبنان كان من مائة الميزانه
بعد ان حكمت عليّ الروضاع بذلك لعلك تعرف أيضاً ما هي الدواعي والظروف
التي جعلتني اصبر على السفر فتخطياً كل العقبات بالنعميم

كنت اعلم عندا كنت في لبنان بأن السفر ليس مشواراً كذوره بل هو طريق الدرس
ادائه رحله التي يعيده اوانه مجرد العول بأني سافرت واراحت من وضع
دون ان أدرك ما هي الاشياء التي سأواجهها بعد سفرى بل وكنت أدركه
اني في واجهه مشاكل وكعبات كثيره وخاصه اني اقيت فير سؤم ان كان من هجره
المخوفه او من جريه الوضوح السئى او من هجره قبول الجامعات ومع جدا كله صميت
على انى سأخارر لبنان لان الانسان واجب عليه السعي في الامكان ويجرسه
اكثر المراحل وكما يقال « يا عمل العالم اتقدا فان ربيتم فلم تحرقوا شيئاً و ان حرقتم
فلا تكلم تصردن الرخدل العراجه اذ بكم ». نعم ان صميت بذلك محملاً و متقبل
للالمصعبات على وضعيه

وصدت إلى ايران خالباية الرد الذي صميت ان افضله هو السكنا ما محمد لله متكله
السكنا اقلت و تأمن في السكنا مع طفل في صميت في السكنا الجامعي ، واما الباب الثاني
الذي صميت ان اخطاه هو ~~باب~~ باب اللغه و تأمن دراسه بشكل جيد
قبل بدو العام الدراسي ولذا ظهرت افاني عقبه الروضعي ان الجامعات تقبل
الاصيب و تعطيل صميت اللغه يعني ذلك وبشكل واضح انى لا يستطيع ان ابدأ
السنة القارعه في اللغه لاني لا املك اللغه يعني انى سأدرس لغه حتى السنة
القارعه والمشكله التي ستجد نفسك في فطير الروضعي عندا برأسك لغه الان
تخذه الصتره كيف في فطير صانع ايران؟ بدو دراسه لغه هذا هو الامر
الذي يتعلمني دائماً وجملي اربص الدنيا انهم بتفكر عديت من نوعه أيضاً

كثيراً. فالصراحة واضحة في هذا الأمر، فالذي أفكر به ما هو الذي يضطرب لأننا نحمل
أشياء مصارفين وإنما جانا ببدون أي عمل ولا دراسة فالتصانيف من هذا الوضع لا تستند
في حصة المادة فقط بل من حيث أني لا أستطيع أن أحل وشرح الملل والارتمس في أسلوب
بأنه تعرفت الشاب إذا كان يدور أي عمل إنه كان دراسياً أو عملية كيف تصانيف وحق
كيف سيصن وقتها كله؟ الارتمس في؟

والباب الثالث هو قبول الطلبة الجامعة فما يكون ذلك هذا الخلق المشكلة فنحل نرى
ما مختلف هذه الفترة اقصيا في دراسة اللغة لوصفي على ان ان اليمين الجامعة اللغة
التي ادره ولكن وبشكل واضح فاستطيع ان اجمع على المواد التي لا اعلم اللغة
بشكل جيد. يعني بصوتي على قبول الخلق الوضوح لاشي الكون قد تظلمت شي مهم
لا يصح ان ايقن عاشت على اعصابي طوال فترة بقائي في لبنان فتمتذ وذا بعيت
صناع ابراهيم هذه الفترة بدرنا في شي نفي هذا اني سأدرسه لغة منه قادمه
ولم أن حاصله على قبول هذه الفترة طبعاً ذلك اني السنة القاديه أس
وما جد به لا حصل على قبول السنة ما بعد القاديه وهذا الامر ليس محتمواً بأي
ادوية الحسون على قبول في الجامعة فذلك يجب ان نوضح كل الاعتمالات
أرثو: الإحالة بصوتي على قبول كما ذكرت ايقن صناع اعصابي هذه الفترة. لأن تأخير سنة
والدراسة لا يؤثر كثيراً على

ثانياً: أحوال عدم بصوتي على مقصود الجامعة فالدسلة كثيرة نطرح نفسنا
عالم العمل؟ هل ايقن ايمان حد ان افاده هذه الفترة؟ اما احوال ابراهيم؟ ولكن الى ان
غير هذا البعد؟ وما العمل الذي اواجه به بعد هذا؟

المستقبل بعد هذه التبادلات اوضح هذا الأمر بأفني أفكر بالمستقبل الى عند ذلك للعمل
عمرها تلك النتائج. أرحو ضلت منذ البداية ان لا تعرفهم الأمر بقدر المطلوبه فمضاه
بعد ان نقتضي يبحث الامر لكل رويه.

ثالثاً: كان ما المثل ان اجمي الى ضلت للعمل ومن ثم لو كان احد المثل ان اقول ان افني
وهذه فكرة لمنا مما اضطررنا ان اوجسنا نرى ونفس العنت فبعد ان نعمل سوية وقد
اكثره ذلك الطريق تقدر بالحيه السفر للتفحص في بلد ثانى تكون راحة لي
والله. ارحو درجاتي الحار ان قفوتي ولا تفكر في آخر دولتي وكما تعرفي

احب ان اصابك بكل شيء حتى تكون مرتاحاً. اني اعرف تماماً انك ستعد لمن يصر
 ذى الى بلد اخر غير بلادنا بعد ان اقصى حرة عظمة الخاصة في اي بلد
 اسرحتهم بعيني ورفقتك بعد ان تفكر سرّاً بالبلد المناسب. واهدنا
 المصير الذي عدت ان اقصى هذه الغزاة ولا مانع اذا استعدت بأي عمل كان.
 اني اعرف تماماً ان على الدسان وضرورتها على ان اثابر وانجني كل المشقات ولكن
 حواجهم كل ذلك بحيث ان يردوا الى فتوحهم اصابهم نرحمهم على الرضى بالحد الذي
 لنكون صبرهم اكثر من ذلك ولنضج كل الاضغاث لتكون انهم كما يرضونهم
 في نفس الوقت وفي حركتهم لذلك اعرف ان التناجح كلون يرتد على اناس ذات
 وانك ستأثر كثيراً في العالم اذ كنت ولكن انت صرت سيكون تأثرها على اكثر
 وستكون الاثر السليم عدي

ارعدون تأخذ هذا يعني الاختيار وتفكر بالعرض وما حول ان تصه اولك بغيرنا
 الى ذلك بوقاوة ليست خصميه ولكن هذا وكما اطلاق بعد ان فكرت بعرضي
 هنا .

ولكن داود الكر انما هذا بأخيه بعد محمد حصوله على قبول في الجامعة. مرحاتي
 ان يبقى مستعداً لذلك. وهذا المثل ان اجعل على غيرنا الى ذلك من هنا
 لمدة شهر ولا اولى اذا كنت استطع بعد هذا من عندك لهذا اعدت.

بعد ان اكون قد استعرضت لك وصلي بالتفصيل وانتم ان الكون قد اوضحت لك
 حور الامكان لتفهم وصفي. فهذا يعني الانظار لرد لك .

بعد وقت قصير بعد ان تكون الرسالة قد وصلنا ويكون الرد قد جاء ويكون
 الامر قد تبين ثابته بلغة زما بصوت على قبول في الجامعة وهذا ما
 والنسبة لهذا حواله للاديه في سنة كعيني طوال هذه الفترة وكرهه الهم انما لذلك
 في عطلة - قم لواتك الخ علي قد طلعنا عانت طيرا اضطر الامر للاندستقل
 تتالم فيه ولكن دون الموضن بالالتصاميل وقد بعيني الجرح هذا كان هذا المثل بعد
 ان تفصل المرة الاولى اجيزه. اذا كنت بعد ان تفصل المرة الثانية لوجبه وانظرم صلتك
 والخ علي بعصل الخير اذ كنت .

وعادون ان يكونوا ائمه الكون في اوقات الليل فقط اذ في الساعة 8 الى الساعة 10 في وقتها
ليلاً على شكله رغم الهمم المشتركة بين علي وجيرانه ومن الممكن ان يريد عليك
جيرانه فتقول لهم ذكرنا لك علي وفكرهما اكثر مما مره بلا شك اذ ان يوجد
بعض من ذلك ايرانيين يتكلمون العربية فيسرون عليك امرهم ولو ان لم يكن منسحب
فكلمة ايدار رقم الهاتف هو ۷۹۹ ۷۹۹ - ۷۹۹ ۷۹۹
وسأرسل اليك العنوان الكامل للمكان الذي اسكن فيه انما عليك ان تبحث
جمهورية اسلامي ايران - تهران -

خيابان كارگر (ايد آباد نسائي سابق)

كوفي داتش جويان خار جوي - ساختمان ۳ -
وهنا يوجد اكثرية النساءين . وهذا العنوان هو ترجمه لك في العربية
شارع العامل (ايد آباد نسائي)

الممكن الما صهي للطلقات الخار جويين - رصم البناء - ۳ -
كلها لطيف في الكتابة كما خاطر في باقي اشياء واشياء كثيرة على حال غيرها الاشياء
الاشياء مخلوذة بالادوات والاشياء ومنها كنت عند لا تعطيه حقن
ولا اعلم بالتحديد اذ كانت فكرة الذهاب الى لندن وارده في رأ سطح هذا النوع
على كل حال انت ترى العوضه ومنها تم اخذ ذلك ما اذا وصفت انتم لاه اوقاتاً
ملاها السعادة والسرور وعطلة صيرة .

واخذ اريد للرسالة انما الاستمرار في بعد الاستمرار في جميع وقتك بالعلم الذي
من المعروف ان يقوم به ويعرفه ويتقنانه وتصميمه في بعض كل المثل .

فلا بد لي ان اقول لك ان يكونا بصحبه جوده عمل موثقت وعذرا لافيه اطلت
بذلك على طلبة مستخرج الرسالة وانشاء الله جوداً

وتوكلني سلامي الى الاخ نصيم لحام واخوه علي وابني الخاله صبيح ذابح
ومساعدتي طليل جيمي دخلت في عليك عبد الله صبي الذي يوجد في السلام صبياني
لك دوام الصحة والعمل المجد

محمد احمد مرادكي



بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
 ان التصديقية تفرقة في العالم يتم على مرحلتين الاولى حركاته الانتقالية المرحلية التي تتوزع
 بين الشعوبية والوطنية وهذا التصديق هو مرطبه يحتاج الى ابداعاته المتفرقة
 بالحرية والانتقال وطرح الجوانب والطفان والاستعداد والتمسك بالمرحلة الثانية وهو ذلك
 واما التوسيع والتفصيل وهو التوسيع فهو تقدمه جذاة اشد وانظف في كل المراحل ومعرفة
 الطرب والرسالة التي تكفل بمهارة الثورة من الرضا والديانة التي هي في العيشة بمر
 وهذا التطور الجديد في هذا الموضع المصطف التي تفسر حركته في المرحلة الثانية
 فالمرحلتين في التصديق يجب ان تقامها لكل الدراسات في العالم هما واجبات فائدة المجمع الضيق
 العالم في ايران في المرحلة الاولى بشكل مشابه في العالم بعد ان اتحدوا جميعا في وجهها دون العالم
 واستطاعوا ان يظهروا الصورة العربية المراجعة التي كانت موجودة في حوت امان الشعار
 من حيث الشعبانية في كل من هذه الدورات والمدافع والتمسك التي تضمنت وبكل صنف
 صدور الدعوة المؤتمنة في ايران. فبالفهم المصالح في الدنيا بمرحلة السلاح القتال العنبر
 هذه العالم حوائف يتطرح ان يوضح الامتياز ويدرسها غير كثر كما في
 ولكن التغطية الثانية والذم وهي التي تقدمت استمرارية القويات اجمع توقف وترجع الى الوراثة
 ومطابقتها بالتيقن لتدومها القويمة بهذا الصنيع في المرحلة الاولى التي هي الانتقالية الى الازمنة
 وهو دورته واستجاب لكل الدور التي تفرقت في الساحة العامة فاستلقت لنا فقط
 يا شعرا او بالقول ابد السالمة التي ترمي الى العكس ان اسلما يبعثنا المسكت في ارجائها اسلما
 دون الافرنج والاشترقيين امور جارية تبعدنا عن اصلنا التي ذلت تصفنا في نظرها سليم
 اية قوة في العالم وبها بلغت لنا كبريتة اخذ من افراد الامة اسلما من منطلق الوحي
 اسلما هي المرحلة التي يجب ان تكمل المجهود الكافي لسد الحاسرات الكونية القبلية لذلك
 الشهيد العباسي اسلما ديمشقي في لفظ الجليل. انما وبشكل عام نحن لسلمون هنا في كل الف
 في الفكر المسلك وبمصرحه لا يكفي ان نقرأ كتابه اجمع في حرة او نطير اجمع في حرة
 او ... بل الذي يكفي هو ان نأخذ حقه الاسلام من رواد اوله وان نطعمه في حرة
 وقتنا لرباس به في حياته لاكتساب الامهاله الفكرية اسلما حتى يتطرح ولا

رسالة من الشهيد في طهران إلى صديقه ابراهيم درويش في لبنان بتاريخ 28 ربيع الأول 1400 هـ (1980/02/14م)

واخرى من انبياء الله المدبحة بجمده والده اسه كمن لم يلمه بالسب اذ هي الامي والظلمات
 او سلبية وبطني القزاة الفارسية او في بعض الافعال الشخصية بلاخوة المرام صبا فالهم انبي
 فعدت مرات ولا ينطق ولا الاطمئنان الدائم علم
 واختمت بالتي حده بالدعاء للاخوة المرام صبا وارجو العلم بالذبح صبا والذبح سفيد وجمع
 الرخوة الفاس حيا برأ من اولئك في سبب لكمة العيش راجيا من الله ان يمدتهم جميعا في صحتهم
 وحلمهم ويبرحهم الى اجالهم بالجمعة والجمعة والجمعة
 ووافر بعد الله هذا الدعاء . ورحمة الله العظيمة الساجدة بمرسوم زين العابدين عليه السلام
 بسم الله الرحمن الرحيم

الهم البليغ اشكو نفسا بالحد اعانة والى المظلمة عبادة وبمعاصيك معلقة
 ولستفك متعزضا ، تلصص حاله المراهق وقبلي خذك احد جلاله
 كثر العطل طوبه الدعي ان عطا الشرف فخرج ، وان صبا المرحوم صبا له الى اللعم والبر
 جملة بالظلمة والسوء تسرع في ذك المديرة ، وتوحي بالتوبة ، الهم اشكو اليه
 عدوا يضلن وشيطاناً يفتون ، قدامك بالذوا من صدى واحاطت حواجه بقلبي بعانه
 الى الهم ، وينزل لي حب الدنيا واحول بيني وبين الطاعة والرضى ، الهم البليغ اشكو
 قلباً ماسياً مع الدوا من متقلباً وبالرزين والظلم متقلباً وعيناً عن العبادات خوفك
 جادة والى ما ترها جامحة ، الهم لا حول ولا قوة الا بقدرتك ولا قوة الا بقدرتك
 لودنيا لا يرضيك فاسالك بلسنة جنتك ، وتغاف وشيئت ، ان لا اجعلني
 غير جودك متعزضا ولا تصير في اللقن فرناً ، ولكن لي على اعداء شامراً وعلى
 الجازي والعيوب سائراً ومن البلد والظلم المعاصي عاصماً برأ فقلت ، ورحمتك
 يا ارحم الراحمين ، ورحم الله على محمد وآله حق يرضى به على الله عليه وعلى آله بعد الرضا
 بكارة لا حول ولا قوة

اشركت بالله اليوم صلتك من الدنيا حسنة فدان . وسأل الله التوفيق وتقبل عني الله
 شريطا على وجه البحر ووجه جده وما مره واضح
 ليلتان ليست على عازم كاطاعة الله جميعاً بغير عدالته الفقير الى رحمة الله
 بحسن ترحله وهدوه بالفضل لانه ليس له قوة جيدة هذا ان اجري محمد الحمد لله
 يا ارحم الراحمين الشريفة اللهم ارحم من
 محمد الطاهر كالحق . محمد

والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين
 ائمة الهدى صلوات الله عليهم اجمعين ورويت عن جده الله ابراهيم عليه
 السلام انه عرفته بعد موته على الصبي العام الذميمة اليه فاستدعى بها كما في خبره من موته ولينا الخطير
 في الدنيا حدثت له المناجحة والصلوة الاوسية بحسن الشئ من المنزلة لها بل قد سمعته حاققه على الصبي
 الطاهر في الحقيقة لما احدها هذه الاحداثه بعزل عن الدنيا مع اخرى اخرج بهذه الصورة العائمة
 في الدنيا في يوم سبوح مباركته انما راها في حال عبودته الوجلت لها من اجالها على الصبي المجهود به العامة
 تكديفاً عند الصبره ولكن هل من الحكمة ان انك على وجه من حلقه بعض النقطات التي لا تدركها الا
 عمل مثل الحث وطلعت على بعض ذات الشهادة (وهو هو) في عزوات الشهادة تكون لهم
 ان احادته افعال ومغيبه فكتبت رسالة العزاد وفيه نذير عما يشاؤون انما رحمتي بالذي انزلوا به
 في عبادته مغيرة للشك في عبادته في الدنيا انما كان سائرهم بالارواح والارواح ولكن هل هذا يعني لنا
 ناساً ونفوساً مع روح الله ان الكساد المذموم يمتلي على عباد الله في كل عام زادوا من النفوس
 كما انزلوا ابتلاءً ان الشهادة شغوية لا يمكن ان تؤمن بها من شعيت وأمة من الزوال
 والارواح عليهم السلام استشهدوا ولكن بقي السلام بيده من يوم لم يمتش في عبادته
 ورواه عنهم ناساً ان السلام دعوات ان لا تحصل آمناً متعلقة على شخص واحد فلا تدركه
 ذلك فوجبت له على عباد الرسول لهم له الفضة عامر السلام لم يكون استغفبتهم في
 نفسهم اناس بل ركزوا السلام في نفوسهم وهذا الامر قد نفعه الذي في المهدوية الإسلامية
 فحجاب الاشخاص بها لم يصب عقاباً لهم اقلية لا مؤثر على صورة الثورة الإسلامية
 بل انما انزل الوعد الذي سركه هو استقام ووحدة الشعب
 بالصلوات والسلام التي نصت هذه الاحداث هنا لانه قد برهن وقصته المنع بالارواح
 في الامام الحسين اطال الله عمره بعد خاتمة الاستشهاد كان وانما من الوفاء اكثر مما الفائق لم
 اسمع صوت الوهم بهذه العزة لانه في العام الذي من حيث ان ايران موهوباً في حجاب
 الشعب غير من كل ما جرى وقال انما خطابي شخصه لا مؤثر على مسيرة الشعب في قوله
 كتبت انما من الطامع هذا في الشعب احب ان يركب وصعد للعبودية بل انما
 هو سبيل انكروا كلمة الله على الارضين
 والاولى على هذا انه ناول يوم الاستشهاد ابرزت العبودية الإسلامية انصاراً باعز
 في الجبهة ضد المعتكف الكافر ولله ان عزت مدنيه كرهه لور على جبهته الخوي

رسالة من الشهيد في إيران إلى صديقه ابراهيم درويش
 في لبنان بتاريخ 2 ذي القعدة 1401هـ (1981/08/31)

وأمرت ... فزفت وقتلت عشرا من القتل والدم كذلك بدأوا يتحررون عديدا
فمن ومنوا عذابي ١٥ بعضيا. ان التصاميم المتشابهة على العيرته تكس لنا
مودة وحدة واستوام الرشد وهدم آثاره بالعواطف التي تخرج من شرايب الـ
بزرحة كل المذامير التي نبتت عند

الدم كذلك انتخب رشدا للوزراء الشيخ فهوى كفا وعن الدردكهم والعمور قري على طريقتنا
ولا شرا يشع بالذلت ابدأ وطأنا حادثة مثل هذه لم تقع ابي اشم أي لو انا بالبح لهم شئ
ذلك ما اتبه خو العوام الذين تعطفوا بنا والسياسة لمصلحة عدي النجى ظهر بيف لنا الرشد
تفتني من فكر الى آخره شاد الله بنا منهم ثم بيته

اي الكرم... كنت اود ان اسجل لكم شروفا وكلفنا الله بما اقرب وقد اسجل لكم الشروفا
والمركم بالفضل من الاصلاح في امركم هنا
وفي العاصم اريد ان احدث معة بعض النقاط الخاصة بشاد الله احد ذلك اياها في الشريط

تسبحوا لاعدت ومن ثم تهييوا. والآنا مع المصلحة العربية
١- بالنسبة لمسؤولي الحركة الفكرية وتفرغهم في العدة
٢- توجيه العمل مع اهل البلدة وعدم جف الخسبات
٣- عدم المعاجرة في طرقت من العدة والى ما عند الشخص نقاط

لعلنا في الشرح بعضنا اذ في ايشه كلونه طلب دور اني انتموها بجزء ولو ايا لتعريف الوجود
انني اني كعدنا الوجود المعنى قد استتب في كتابه والمناطق المعاصرة والشاواه تكون من عدد المرات
لما في العاقبة اني لو احدثتكم الاحداث شاد الله بكونه يذوق انفسنا في
سبل العمل الرشد في سبل رعدنا انفسنا في

اعدي سلكي الى جميع الازمة والرفوات في العلة والوجود جميعه شاد الله في العلة
انني اني قري عن شاد الله في العلة والناحية العاقبة كل الاعوات التي قري في البلدة ارجوكم
ان تحمروا بها

سلكي الى العلة وحل في العلة والرفوات في العلة شاد الله في العلة
والى العاصم اريد ان احدث معة بعض النقاط الخاصة بشاد الله احد ذلك اياها في الشريط
الشيخ محمد سعيد بن الحسين
والسلام عليكم ورحمة الله

في العلة ١٤٠٥ هـ
محمد سعيد بن الحسين

٣٦ أس الرسالة التي كتبها شهود الإسلام الشيخ رملوي إلى أخوه الشهيد إبراهيم درويش ولم يكن يعلم بأنه معتاد في الصار حيث وزعه الله الشهادة من دون أن يقرأ الرسالة .

يسرنا في الزمان الحبيب

والسلام والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

أخي الكريم الحاج إبراهيم درويش الله الله تعالى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وصالتي وسالتكم الكريمة مع جماعة الشيخ محمد طهيني فتجد الله على انكم تخرج من شر الأعداء والضيافة الله الله وسوف تجلب لهم الفولات والبلادات والقتال والسياسة مما تروى بأنه تعالى .

سر هذا العزم المتطرس الذي دخل في البلاد وأخذ فيها سواد من يادوم ورائل لا حالة عابداً إن شاء الله ولا صلوات ذلك واضحة إذ أن هذه العمليات الأنيرة أي عمليات والفجر سوف أود أن أكتب وقدر وقامة يعنى لأنها سوف تشكل الخطر الجدي عليهم ولذلك سوف تكون ردة الفعل عندهم قاسية بعدة أسبابها الخطر الجدي ستكون هذه العمليات على مراحل طويلة مهمة في تحديد النزعة السياسية والجهادية والوطنية والمعنوية والسياسية ولكن ه مكروا ووفى الله والله خير الماكرين ، الجيش الاسلامي زاحفة تقدم ولا حالة ، وعلى المسلمين ان يعدوا أنفسهم لمواجهة اسرائيل - الامم المتحدة - واسرائيل يجب ان تزال .

سأبشر بأخي إبراهيم محمد مع العسر يسرى ان مع العسر يسرى وسوف أرسل لك فتح الشهادة وهي هذه الفتوى للاسلام الجدي التي استقي فيها من العمليات العسكرية التي ان تكون هذه الفتوى واج الشهادة جديدة يوم القيامة لجميع كذا والسر شراً في أكثر من بلد اذا ممكن بالتنسيق مع العلماء التي ان تكون سورة للفتح ، الرقيق الاعلى رداً من ساداتكم الآن انتم في جبل عامل إذ انتم العرب الجنة مفتحة واللائحة فتاوي للعلمين والامام الحسين يستكمل الشهادة معترجين بالتمام يعلم ويعرفنا اننا بعدنا حسابنا ، والشهادة ينظر في وجه الله ، وهذه الفرصة لم تكن الا لبي أو لبي أو لبي ، فلبسوا ايها الاخ الى مغفرة ربنا ، السامعون السامعون لولاك الثريون .

وأنا بنت الفوز العظيم قبل فاسلك الشفاعة ولا تنسا هذا زوار القاري وبأ ليا من حياة شالمة ، ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، الشوق يدعني الى الجية الذي تفرغ معكم بمعزق وخسرتي كل سوريي نفس كافر ، إذ لم أرفق عندما كنت في لبنان لولا الله ، فقال الله أن مافنا العمل الصالح .

أخي الكرام التي ان يكون التأثير على الأتومح العلماني في هذه الأيام التحويل نشاطهم الى العمل العسكري يشكل عام لأن هناك العدو وقتة وحرقه سوف يصفه ويحطه ولا سيبل في الأذلة الخنافة عليه التي ان يكون العمل على حسب الخط القسري العام النشاط العسكري والى جانب ما يسر من الاعمال الحربية والاعلمية والدينية

بشبهه تامل

بعد كتابة هذه الرسالة وصالتي اخبار اعتقال بعض الشبان من عيتيت ولم أدر من هم فعلا والذي عرفته أن أخ محمود درويش قد اعتقل هذا الخط .

لقد أساهي الزمانيك ولا اندي حقيقة الوضع كالتالي ان دون اعدا لذلك لأنها نعمة من الله ان يعد على الانسان ويشتا لسأل الله ان يتقبل الاحمال واسرائيل لا بد ان تزال ، فاعلمنا كل سبويي نفس . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوك في الله سيد رملوي - في القصة ١١ جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ - ٢٤ شباط ١٩٨٣ .

رسالة من الشهيد في قم إلى الشهيد إبراهيم درويش في لبنان قبل معرفته باعتقاله في 11 جمادى الأولى 1403 هـ (1983/02/24)

٦ شوال ١٤٠٦ هـ

يا شهيد حزب الله

إلى الروح الطاهرة لشهيد حزب الله الشيخ محمد رملاوي نصر الله تراه :

سالكاً في درب الله
يا شهيد حزب الله

أنت من لقن في الإخلاص درسا
حينما أرخصت للرحمن نفسا
وبداً قدمت في الحب ورأسا
هكذا أحباب الله
يا شهيد حزب الله

يا أبا هادي لقد دُست القيود
ومع المهدي أخلصت العمود
هكذا تهديم في الله الحدود
وسبأني نصر الله
يا شهيد حزب اللهنبيل الحلباوي
(أبو فراس)أيها القادم من أرض الجنون
ساطع وجهك في كل القلوب
لم تزل تهفو لمسراك الدروب
أنت قيتا نوراً الله

يا شهيد حزب الله

قلت صدقاً لبتنا كنا معك
وندا هل ناصر قد أسمعك
أترى نصدق في ان تبعك
في طريق روح الله
يا شهيد حزب الله

طلب العلم على درب الشهادة
أنكر الفقه خملاً ووسادة
فجر الفقه على درب جهادة

«إحتفال بذكرى الشهيد الشيخ رملوي في عيتيت» نوراني : طريقنا هو النضال معاً لإبادة إسرائيل

لبنان قال : في هذه الظروف التي نعيش عليها ان تلتفت الى الغنلة . وعلى كل انسان ان يفكر كثيراً اين يضع قدمه واين يسلك دمه .

واضاف : بعد كل تجاربنا وصلنا الى قناعة بان كل ما يجري في الساحة لا يمكن ان يحمل لنا الخلاص . ومن هنا نعود الى الرؤيا الواضحة وهي انه لا يمكن ان يفلتوا احد وعلياً ان نعتمد على انفسنا وذلك بان نكون لمانولوج الذي تحرك فيه انطلاقاً من الاسلام .

وتابع السيد نصر الله : عندما تعرض علينا حرب داخلية علينا ان نناصرها ونضيقها وتتوجه الى العمل على الا تشعر اسرائيل في مستوطناتها باي امن وذلك بتوجيه الشرايط نحوها وتحولها بذلك الى حقله مرعوية .

وشدد : باننا علينا الا نجر الى الصراعات المذهبية والا نكون اداة لاحد . وان يكون لاجتماعنا وجهته باننا لا امن لاسرائيل في لبنان والمنطقة ويجب ان تبقى البنديقية مشرعة حتى نصلي في القدس خلف المهدي (عج) .

واكد السيد نصر الله : انه علينا ان نعمل الى مرحلة لا يكون فيها قلقنا وسلمنا فيماخدمه مشروع احد بل نتحول الى جزء من مشروع الاسلام والاسام الخميني في العالم فنقبل بالدم عندما يريد الآخرون وتجدد به عندما يريد الله سبحانه وتعالى .

○ ثانياً : تطبيق شعار الوحدة الإسلامية العالمية . لا بد في المرحلة الأولى للوحدة بين طرفين من ابراز شعار قوي ومحكم . ومع هذا لا يمكن الشعار ان يحقق عملياً هذه الوحدة .

لذا ومن اجل انجاز هذه الوحدة الإسلامية يجب ان يلازم الشعار ارضية عملية للتطبيق . وفي هذه المسألة نعلم جيداً ان تنفيذ الشعارات يتطلب التضحية والفداء . ولا فلن الأعداء والمخالفين بمنعهم ان يدفعوننا الى تحقيق شعاراتهم واهدافهم المتلونة .

علاوة على هذا . وفي هذه الأيام . شاعداً جميعاً هذه الاشتباكات الداخلية . وراينا كيف ان اسرائيل واميركا استطاعتا ان تفرضتا على المسلمين تحقيق شعاراتهما بواسطة خططهما السياسية . ومن خلال الثفرقة وسياسة التفريق وعن طريق الإيقاع بين المسلمين كالاشتمكات الدموية الأخيرة

ايها الاخوة الفلسطينيين واللبنانيون . لقد عاهدنا نائب امام الزمان بالحق . الامام العزيز ان تكون معكم وان نتناضل معاً لاسادة اسرائيل . فلننتقل على هذا الاساس لان هذا هو الطريق .

وتحدث السيد علي الاصين عن ولاية الفقيه وحض على العمل من اجل حفظ الجمهورية الإسلامية والسرع على خط الاسام الخميني (حفظ الله)

مزايما الشهيد الشيخ الرملاوي وعن

احبت المقاومة الإسلامية تكرر الشهيد المجاهد الشيخ محمد رملاوي الذي سقط على جبهة الفلوج في جمهورية الاسلام في ايران . في احتفال تابيني القيم يوم الأحد الماضي في القادي الحسيني في بلدة عيتيت . بعد تلاوة القرآن الكريم والسيرة الحسينية التي الحاج محمد رملاوي كلمة اخوة الشهيد . ثم الشيخ محمد طحيني الذي صنف العلماء في قسم يسرع على خط الاسام المهدي (عج) وأخر مختلف له واستدل على ذلك من خلال اقوال الاسام على (ع) في نهج البلاغة .

والفـ الشيخ عفيف الفلاني فصيده . بحرية ثم تكلم القائم بامال سائرة الجمهورية الإسلامية في لبنان الاخ محمود نوراني فتحدث عن معاني الشهادة وتوجه الى الشعب الفلسطيني قللاً .

○ أولاً : ايها الاخ الفلسطيني . لا تتسرع بسلحك . ولكن اعطه الخط والعقيدة والسياسة الإسلامية . لانه ان لم توجه سلاحك الى الأعداء الحقيقيين . فمن المحتمل ان تطلق النار في وجه اخوتك واصدقائك من المسلمين . وان لم يكن لسلاحك خط اسلامي صحيح لا بد ان يستفيد سلاحك هذا الأعداء من التكتئاب واسرائيل من خلال دفعك للتدخل في الفن والالعب السياسية . ونحن هنا لتأكيد وحدة الرؤية الإسلامية العالمية . واننا في خدمة جميع المسلمين لبنانيين وفلسطينيين . وفي خدمة السلاح الفلسطيني إذا توجه ضد اسرائيل .

احتفال بذكرى الشهيد الشهيد رملوي في عيتيت 6-20-1986



سِبَاقٌ مَعَ الْقِطَارِ

لا أنسى لحظات الوداع الأخير حين أوصلته إلى محطة القطار، وكنا قد تأخرنا عن موعد الرحلة إلى الأهواز نحو نصف ساعة، فبينما كنت منشغلاً بركن السيارة، نزل منها مستعجلاً ليتأكد من أنّ القطار انطلق أو لا، وبعد دقائق لحقت به، فإذا البسمة تعلو محيَّاه النوراني وهو يقول: «سبحان الله، لقد تأخّرت الرحلة، وها أنا على وشك الصعود إلى القطار». ثم قال: «ألم أقل لك؟!»، نعم، لقد قال ولم يخب أمله، وكأنّ القطار ومن فيه توقفوا ليقلّوا معهم عريساً إلى معراج الجنة والشهادة واللقاء .

هاشم صفي الدين



9 786144 672877



Al-Maaref Islamic Cultural Association
AL-MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
مجلس - بيروت - الجمهورية اللبنانية - الشراعية العام
تلفون: 99511 479330 - 99511 479330
www.almaaref.org.lb
Email: info@almaaref.org.lb

لبنان - بيروت - حي ماضي - مجمع الإمام الكاظم (عليه السلام) ط 5
هاتف: 96178927930 | 96170646020 | 961147706 | تليفاكس: 961147706
ص.ب: 5081/25 بيروت

